الجن تلميذ
سلسلة قصصية
جمال الحفني

الإهداء:

"إلى من يهمس لي كلما هممت بالصمت .. إلى الصوت الذي لا أرى صاحبه ولا أستطيع تجاهله.. هذا ليس إهداء .. بل استجابة"

"بين عالم الإنس وعالم الجن خط رفيع, تلميذ الجن هو من يسير عليه دون أن يسقط"

في يوم كنت راجع أجازة بعد ما كملت أكتر من 20 يوم في الصحرا, ودي كانت أطول فترة أقضيها بره البيت بسبب طبيعة شغلي كمهندس جيولوجي, مهنتي صعبة شوية لإن طول فترة الشغل بكون في صحاري وأماكن مهجورة, لكن الناس اللي بتحب الهدوء والعزلة هتلاقي الشغل مريح جدا للأعصاب, مفيش بصمة ولا مدير بمعناه الحرفي ولا عصافير ولا أي حاجه من اللي بنسمع عنها في باقي الشركات, وأحيانا كنت بحمد ربنا على طبيعية شغلي لما أصحابي يحكولي الحوارات اللي بتحصل معاهم في شغلهم.

الموقع اللي كنت فيه بعيد عن البيت بحوالي 4 ساعات أو أقل شوية وأنا خلصت شغل وجهزت شنطتي بعد العصر تقريبا وركبت العربية بتاعتي واتوكلت على الله, الطرق الصحراوية أحيانا كتير بتكون هادية ونادرا لما تلاقي حد غيرك على الطريق, رحلتي كانت ماشيه وفي أمان الله لحد ما عملت حادثة وخبطت واحد ظهرلي فجأة.

الوقت كان بعد المغرب تقريبا والإضاءة زي مانتوا عارفين بتكون نور العربية فقط, مفيش كشافات على الطريق غير في الكافتيريات أو قبل المدن بمسافة قليلة, وأنا كنت في منعطف وفجأة شوفته قدامي ومعرفش ظهر إزاي بس خبطته واتفزعت وركنت على جمب ونزلت اطمن عليه.

نزلت ولفيت حوالين العربية وبصيت حواليا ملقيتش حد, هو كان راجل لابس جلبية بني وشعره أبيض دا اللي شوفته في اللحظة اللي خبطته فيها, أو دا اللي قدرت أفتكره لإني وقتها اتخضيت وملحقتش أركز في ملامحه على الرغم أن وشه كانت قريب مني وجسمه كله خبط في زجاج العربية.

جسمي كان بدأ يترعش من قبل ما أنزل من العربية ولما ملقيتش اللي خبطته الرعشة زادت أكتر وحاسس بتنميل في جسمي ومش عارف أتصرف إزاي خصوصا أول مرة أعمل حادثة من النوعية دي وأخبط حد, نور العربية كان كاشف المنطقة كلها ومشوفتش اللي خبطته, زودت نور العربية الأمامي قولت يمكن الخبطة رمته بعيد لكن مكانلوش أثر, طلعت تليفوني

وأنا بحاول أسيطر على رعشة إيدي وشغلت الكشاف ورجعت أدور خلف العربية ومشيت كام خطوة لكن مفيش أثر لأي حد.

مكنتش فاهم اللي بيحصل معايا ولا لاقيله تفسير وبعد دقايق من الضياع حاجه قالتلي خلاص اركب عربيتك وارجع بيتك انت كدا عملت اللي عليك, لكن حاجه جوايا كانت بتقولي لا, أنت خبطت حد وإنك تمشي دا معناه إن فيه روح ممكن تموت بسببك لو ملحقتهاش وخدتها على أقرب مستشفى, وفي الأخير بصيت حواليا ولفيت لفة حوالين العربية وحسيت بنسمة هوا باردة وببص ورايا لقيت كرتونة جايه تتحرك ناحيتي وهي بتتخبط في الأرض, مكانش فيه هوا قوي يخليها يعني تيجي من بعيد لحد عندي لكن مركزتش معاها وأنا جوايا قرار إني خلاص اركب العربية وامشي.

وفي اللحظة اللي بلف فيها من قدام العربية ورايح اركب شوفت الراجل اللي خبطته واقف على جمب الأسفلت وماسك دراعه تحت كتفه وهو بيتفحصه يشوف فيه حاجه ولا لا, أول ما شوفته قولتله سلامات ياعمي والله ما شوفتك ولا أخدت بالي, قالي بصوت ضعيف حصل خير يا ولدي ولا يهمك بسيطة, قربت خطوتين منه وأنا بقوله فيك حاجه أو اتأذيت؟ تعالا آخدك معايا لأقرب مستشفى أو عيادة, قالي لالا خليك مكانك واركب عربيتك وكمل طريقك, الأمور ساهلة.

بصيت عليه وأنا مستغرب إيه اللي جابه هنا وواقف بيعمل إيه, وبصيت حواليا الدنيا ضلمة ومش شايف إذا كان فيه بيوت مثلا بعيدة وهو ساكن في بيت من البيوت دي, أو مجموعة جيولوجيين زي حالاتي مثلا ودا الدليل بتاعهم, سألته تحب طيب آخدك معايا في طريقي؟ وكملت بسؤال تاني قبل ما يجاوب وقولتله بتعمل إيه هنا لوحدك ياعمي؟

سؤالي الأخير استفزه وقالي بلهجة فيها شئ من الغضب روح ياولدي اتكل على الله ومتقعدش أكتر من كدا تاني, وفجأة حسيت بإيد مسكت كتفي بهدوء ولفت جسمي ناحية العربية ودفعتني بخفة كدا لحد ما ركبت العربية والباب اتقفل لوحده.

أنا جسمي اتنفض من الخوف وشعري كله وقف, وببص على الناحية اللي شوفت فيها الراجل العجوز لقيته اختفي, دوست على البنزين ومشيت بأقوى سرعة.

وصلت البيت حوالي الساعة 8 استحميت عشان كنت متفق مع صاحبي ننزل نتعشى مع بعض ودي كانت عادتي كل ما ارجع من الصحرا أول ليلة بقضيها مع صاحبي وناكل بره لإن بطني بتكون تعبت من أكل المعلبات, وخلال العشا حس إني تايه وفيه حاجه شاغله تفكيري وبمجرد ما سألني مالك حكيتله كل اللي حصل معايا.

قالي ياعم الحمد لله إنها عدت على كدا, كويس إن الراجل مماتش على الرغم من إنه عجوز, كنت هتلبس في مصيبة, وبعدين ضحك وقال وكمان كويس إنه مطلعش جن كان زمانه خطفك في الصحرا ومحدش عرفلك مكان.

ضحكت مجاملة على ضحكه ورجعت البيت ومعرفتش أنام لإن عقلي كان مشغول باللي حصل معايا وبحاول ألاقيله تفسير لكن بدون فايدة لحد ما استسلمت للنوم.

أجازتي خلصت واللي كانت عبارة عن أربع أيام وكنت في العادة أرجع يوم أجازتي متأخر عشان اوصل للموقع وأنام على طول بس المرة دي قررت اطلع بدري جدا واروح المكان اللي عملت فيه الحادثة وأحاول استكشفه وألاقي تفسير للي حصل معايا.

وصلت لنفس المكان وبصيت حواليا ومن بعيد شوفت كام بيت من الطين كانوا استحالة اشوفهم في الليلة اللي عملت فيها الحادثة, اطمنت كدا إن اللي خبطته كان إنسان عادي, مش جن ولا حاجه, بس البيوت الطين دي معقول حد ساكن فيها لحد دلوقتي؟

مفيش عمران ولا أسفلت مثلا يوصلهم خدمات, وبدأت أسأل نفسي البيوت دي مبنيه هنا ليه والغرض منها إيه, منا مهندس جيولوجيا بقى ولازم استكشف كل حاجه, لحد ما قررت أروح بالعربية للبيوت دي يمكن ألاقي الراجل دا واتطمن عليه ومن ناحية تاني هعرف سر البيوت دي.

شيء جوايا قالي بلاش تغامر وانت في الصحرا وتروح البيوت الطينية اللي شكلها مهجور من مدة وغير مسكونة, لكن روح الجيولوجي اللي جوايا قالتلي الموضوع عادي ومنها تعتذر للعجوز اللي خبطته من كام يوم ومنها تحاول تعرف سر وجودهم في المكان المقطوع دا.

وبنظرة سريعة درست نوعية الرمل إذا كان هينفع أمشي عليها بالعربية ولا ممكن أغرز فيها, ومن حسن حظي إنها كانت مناسبة وكنت واخد القرار خلاص وطلعت بالعربية من الطريق الإسفلتي للطريق الرملي باتجاه البيوت الطينية.

قربت من البيوت اللي معالمها بدأت تتضح وتظهر أكتر وأكتر, مجموعة بيوت من الطين يتعدوا على أصابع اليد, البيت مكون من دور واحد, أبوابها خشبية متينة وسميكة منها اللي مفتوح على مصراعيه ومنها اللي مقفول نص قفله, وكان واضح جدا إنها بيوت غير مسكونة من سنين.

مشيت بالعربية حواليها وكنت بعيد عنها لإن برضو كان جوايا شئ من الخوف, ولما اتأكدت إن مفيش حد بدأ عقلي ترجعله الهواجس من تاني عن الراجل العجوز اللي خبطته, ياترى قصته إيه؟ وإيه اللي جابه ورماه في طريقي؟ وفي منطقة زي دا عموما! وقبل ما اخلي ضهري للبيوت وارجع للطريق السريع لمحت قدام آخر بيت واحد قاعد ولابس جلابية سوده وباصص قدامه في اللانهاية كإنه محسش بوجودي ولا سمع صوت عربيتي ودا كان شيء أغرب من وجوده لوحده في مكان زي دا.

قربت بالعربية من البيت اللي قاعد قدامه ونزلت, وكان بيني وبينه أمتار قليلة يعني مستحيل ميكونش حس بيا, شوفت ملامحة كانت حادة جدا, شاب من سني تقريبا باصص قدامه ورافض يبص ناحيتي على شماله, معقول يكون تفكيره وسرحانه عطلوا حاسة السمع اللي عنده لدرجة إنه ميحسش بيا ولا يسمع صوت العربية!

اتمشيت ناحيته وقولت من قبل ما اوصله السلام عليكم, لكن مسمعنيش!

كان بيتعامل معايا كإني شيء مش موجود لدرجة إني شكيت في نفسي وفي كل حاجه حواليا وخمنت إن دا ممكن يكون حلم من الأحلام الغريبة اللي بشوفها من وقت للتاني.

مشيت لحد ما وقفت قصادمه وقولت السلام عليكم ومديت حرف الياء بنبرة اللي هي إيه ياعم انت سرحان في إيه وأنا بكلمك من الصبح؟

ولأول مرة يبص عليا, ملامحه الحادة ازدادت حدة والغضب اترسم على وشه وبدأ يزوم كإنه حيوان أو كلب مسعور قبل الهجوم, صوته كان صوت حيوان فعلا وأنا لوهلة رجعت لورا وبدأت أتوتر وبصيت حواليا اللي هو لو حصلتلي حاجه هنا محدش هيلحقني, وفضلت أنا وهو لحظات على الوضع دا لحد ما فجأة خرج من وراه الراجل العجوز اللي خبطته وبص على الشاب اللي قاعد وقاله خلاص أهو جي وأنقذ نفسه, قوم انت شوف شغلك.

تابعت بعيني العجوز وهو بيتكلم وأنا مش فاهم قصده, أنقذت نفسي إزاي!

وبعدين بصيت على الشاب لقيته ملامح الغضب زادت على وشه وقام من مكانه وقبل ما يقف بالكامل فجأة اختفى والجلبية اللي لابسها وقعت على الأرض والأرض شربتها كإنها مياه واختفت بعد ثانية من وقوعها.

عيني اتفتحت على آخرها وأنا مش مستوعب اللي حصل قدامي, بلعت ريقي وبصيت للعجوز لقيته باصص للناحية اللي كان فيها الشاب وقال بحزن, الغضب دا هيكون سبب في هلاكه.
وأنا لسه باصص ناحيته ومرعوب وبطلب بعيني تفسير للي حصل راح العجوز ابتسم وقالي متخافش أنت خلاص بقيت مننا وهتشوف من دا كتير.

برضو معرفتش أتكلم والموقف أفقدني القدرة على النطق, العجوز قالي اقعد اقعد عشان هحكي معاك كتير, وشاور على حاجه موجودة ورايا بصيت لقيت كرسي قديم من جريد النخل ظهر فجأة ورايا, احترت ومعرفتش أعمل إيه, أجري ولا أصرخ واتخانق ولا اتصرف إزاي!

والعجوز لما شافني على الوضع دا قالي اقعد اقعد متخافش وقعد هو على كرسي شبه اللي ورايا وحسيت بإيد بتضغط على كتفي عشان أقعد وقعدت فعلا.

قالي بص من بعد الحادثة اللي حصلت وابني "دجام" عايز يقتلك وأنا اللي مانعه لإنك وقفت ونزلت تطمن عليا وعرضت المساعدة, ولما قولتلك روح امشي من هنا كذا مرة كان عشان ابني موجود وأنا بحاول امنعه من إنه يقتلك, وبعد ما رجعنا طلب مني الإذن كذا مرة لكني رفضت, لكنه كان متوعد بقتلك ومينفعش يعمل كدا بدون إذن, ولإني شيخ القبيلة وهو الوريث من بعدي فانا كنت متأكد إنه هيقتلك بعد ما اموت ولو حتى بعد عشرين سنة, عشان كدا قولتله إنك هتيجي وتعمل اتفاق وتشتغل معانا, ولو مجيتش هسمحله بقتلك, واتفقنا على مدة قدرها سنة لو مجيتش فيها يبقى خلاص مسموحله يعمل فيك اللي عاوزه.

وكنت ناوي أظهرلك كتير على الطريق دا لحد ما تيجي بنفسك ونقعد القعدة اللي احنا قاعدينها دي, وابني لما شافك جيت من أول مرة كان غضبان زي مانت شايف لإنه كان يتمنى السنة تعدي بدون مانت تيجي.

كنت بسمع كلامه وبحاول استشف منه أي حاجه لكني مكنتش فاهم حاجه, يقتلني ازاي وهيلاقيني فين؟ واشتغل معاهم إيه؟ ضيقت عيني وأنا بحاول استوعب ولما شافني على الحال دا قالي باختصار احنا قبيلة من الجن معزولين في المكان دا بطلسم قوي وأنا شيخ القبيلة دي, البيوت دي محدش شافها غيرك بعد ما قريت عليك تعويذة قبل ما تركب العربية وتمشي, وانت هتشتغل معانا وتكون وسيط بين عالمنا وعالمكم, هنعلمك أسرار كتير وفي المقابل هتنفذلنا مهمات أكتر في العالم بتاعك, هتقعد في المكان دا أسابيع أو شهور على حسب قدرة استيعابك للعلم اللي هديهولك بنفسي, وفيه جن مننا متشكل بصورتك بيعمل كل حاجه بتعملها عشان غيابك ميثيرش انتباه حد, وحاليا هو في عربيتك ورايح شغلك, وبص على الشمال ناحية العربية وابتسم, وأنا بدوري بصيت على العربية بتاعتي لقيتني أو لقيت نسخة مني راكبة العربية وخدها ومشي ناحية الطريق السريع, فضلت متابعه بعيني وأنا عقلي متوقف عن التفكير أو الفهم أو الاستيعاب, العربية اختفت وأنا بقول لنفسي امتى أصحي من الحلم المرعب دا!

عالم الجن جميل جدا كنت بقول كدا لنفسي والراجل العجوز أو اللي طلع شيخ القبيلة بيكلمني, آه كنت خايف لكن ملامح وشه وابتسامته اللي بيحاول يرسمها على وشه خلوني أحس انه جدي, مش شيخ قبيلة من الجن ومتشكل.

بدأت أفوق من الخيالات اللي بتترسم في عقلي بسبب كلام شيخ القبيلة دا ووقفت فجأة وقولتله بصراحة أنا مش موافق, قولتها وأنا منكسر وبقول من جوايا يارب يقولي طب خلاص روح انت ونشوف حد غيرك مع إني عارف إن دا مستحيل.

بص عليا وكأنه مش مصدق اللي قولته وقال طب لو "دجام" مقتلكش هقتلك أنا بعد اللي قولتهولك وكمان انت عرفت المكان بتاعنا وممكن أي جن يستعين بيك سواء بقصد أو بسوء قصد وتكون خطر علينا, فانت اختار يا إما تموت دلوقتي يا إما زي ما قولتلك تنضم لينا وتبقى تبعنا, هتفيد وتستفيد لإن العالم بتاعنا وبتاعكوا بتربطهم المصالح ومفيش حاجه بيعمل جن لإنس بالمجان أو إنس لجن بالمجان, كل شيء وله مقابل, ها قولت إيه؟

سكت ومعرفتش أجاوب وهو حس إنه حطني في اختيارات بشكل سريع وأنا لسه مش مستوعب اللي بيحصل معايا, ملامحه لانت ونبرته كمان وقالي هسيبك شويه تفكر, وخليك مكانك هنا وسط البيوت عشان مهما حاولت تمشي في أي اتجاه هترجع للنقطة اللي أنت واقف فيها دي فمتتعبش نفسك وأنا هظهرلك تاني مع غروب الشمس واختفى.

حطيت إيدي على راسي وأنا بحاول استوعب اللي بيحصل معايا وبحاول كمان اقبل نتيجة الاختيار اللي اخترته وهي إني أكون معاهم, اتخيلت أحلام وكوابيس وجن بيهاجمني والناس الممسوسة والشيوخ اللي هتعالجني وكان بمرور الوقت جسمي يترعش وضربات قلبي تزيد, لكن فجأة بدأت اتخيل العلم اللي هكتسبه والشهرة اللي ممكن أوصلها والثروة اللي هجنيها وبدأ جسمي يسترخي وابتسامة بتترسم على شفايفي وأنا باصص في السما, بعدين قولت لنفسي إيه الهبل دا ما ممكن ميحصلش ولا حاجه من الاتنين دول!

وبدأت انتظر شيخ القبيلة يظهرلي من تاني والوقت كان بيعدي ببطء جدا, خصوصا إن مفيش أي وسيلة ترفيه معايا, موبايلي والمحفظة في العربية, جيبي مفيهوش أي حاجه, تعبت من

القعاد على الكرسي ونزلت قعدت على الأرض وبعد شوية فردت جسمي على الرمل وعقلي بيسرح بيا في مواقف وسيناريوهات كتير, أتمنيت معظمها يكون صح وبعضها السيء اللي جي في بالي يكون مش هيحصل, عيني كان بتتقل لإني منمتش كويس الليلة اللي قبلها, فكنت بنام ساعة أو نص ساعة واصحى تاني لحد ما الشمس بدأت تغيب وشوفت شيخ القبيلة واقف قدامي وهو مبتسم وبيسألني ها..اخترت؟

خلال شهر من اليوم دا كنت اتعلمت حاجات كتيير عمري ما كنت هقراها في كتاب, معلومات كتيرعن الجن وحياتهم وعاداتهم وتقاليدهم, قبائلهم وزعمائهم, وشوية طلاسم حفظتهم عن ظهر قلب وعرفت ازاي اكتبهم وامتى..

علمني القوانين الفلكية في وقت الأعمال الروحية, وإن العمل لازم يكون وقت اتصال القمر بالشمس, وشرحلي التربيع والتثليث والاستقبال وحركة الكواكب, وشرحلي كمان الساعة الفلكية وتكراراتها وإن العمل لو مقصود بيه ذكر يبقى لازم الساعة تكون فردية ولو مقصود بيه أنثى يبقى لازم الساعة تكون زوجية.

كلمني عن الكواكب والدرجات اللي بتكون بينهم ومدة دوران الكوكب في البروج, وشرحلي الأعداد التامة والأعداد الزائدة وقوانين سقوط الأحجار, وخلال الوقت اللي مبيكونش معايا فيه بقضيه في القراءة.

لإني سكنت في بيت من البيوت الطينية وكان منظره من الخارج بس طين, لكن بمجرد دخولي بيتحول لبيت متشطب على أحدث موديل سجاد وإضاءة ومفروشات ناعمة وجميلة جدا, وباكل أطايب الأكل, الكتب اللي جابهالي كتبوها إنس زيي عن عالم الجن, معالجين روحانيين مشهورين سجلوا مراحل حياتهم وخبرتهم والعلوم اللي اكتسبوها, وسحرة سجلوا حياتهم وأنواع الجن اللي اتعاملوا معاها وطلباتهم واتفاقاتهم وكيفية إبرام الاتفاقيات ومين القبائل اللي بتلتزم بكلمتها حتى لو كانت هتفنى عن بكرة أبيها, ومين القبائل المتمردة اللي بتشوف مصلحتها فين وبتعملها وممكن تخلف وعدها في أي وقت, كنت سعيد جدا بكل حاجه عرفتها

والشهر على الرغم من إنه مكانش مدة قليلة إلا إني محستش بيه لإني بحب العزلة عن الناس وبرتاح طول مانا بعيد عنهم وعن مشاكلهم وحواراتهم.

"بهرام" شيخ القبيلة واللي عرفت اسمه بعدين حكالي عن قبيلتهم وإنها كانت من القبائل القليلة الحاكمة في عالم الجن, وبسبب بعض الخيانات والتدليسات اللي اتعرضوا ليها تم نفيهم ومنع باقي القبائل من التعامل معاهم أو التواصل بيهم, وقرروا ييجوا المكان اللي احنا فيه دا ويخططوا إزاي يكشفوا المؤامرات اللي حصلت ضدهم عشان يرجعوا لمكانتهم تاني, وحكالي كمان عن أربعة من الإنس انضموا لقبيلتهم زي مانا انضميت كدا لكنهم ماتوا, وكانوا بيدوروا على واحد جديد عشان ينضملهم ووقعت أنا في طريق بهرام, سألته امتى ناوي يضم حد تاني غيري قالي مينفعش ييجي إنس جديد غير بعد موتك انت, ولما شاف التوتر بدأ يظهر عليا ابتسم وقالي متخافش الأربعة اللي ماتوا أكتر واحد فيهم كانت مدة انضمامه لينا 40 سنة وأقل واحد كانت 27 سنة.

مد إيه بالأربع كتب اللي كتبوها الأربعة اللي كانوا قبلي, وخلال ساعات كنت خلصتهم, كتب صغيرة بيحكوا فيها عن الطلاسم اللي استخدموها والطرق اللي جربوها بشكل مختصر, أولهم مكانش أقوى حاجه والتاني كان أقوى منه بعد ما قرأ كتاب الأول والتالت أقوى من التاني والرابع أقوى من التالت, وكان المتوقع إني أكون أقوى منهم كلهم, وكان مع كل واحد منهم حارس من القبيلة وكان الحارس بتاعي المفروض هينضم لي في الليلة الأخيرة واللي هي النهاردا.

استنيت بهرام وأنا متحمس وخايف في نفس الوقت لإني عارف في الليلة الأخيرة هقوم فيها بأول مهمة زي ما حصل مع الأربعة اللي قبلي واللي كان ممنوع أعرف أسماءهم, وفي وسط تفكيري وأنا قاعد قدام البيت الطيني مستمتع بمنظر الصحرا والنجوم شوفت بهرام بيتشكل قدامي وهو مبتسم وبيسألني بنبرة فيها بعض التحدي "جاهز؟"

هزيت دماغي وأنا بطمنه واطمن نفسي قبله إني جاهز ومش خايف من ليلتي الأولى ولا اللي هيحصل فيها, حط إيده في جيبه وطلع منه خاتم مدهولي ناحيتي وأنا مديت إيدي أخدته منه

وأنا عارف إن دا هيكون خاتم الجن المساعد الموكل بملازمتي طول فترة انضمامي للقبيلة, وقفت وأنا ماسك الخاتم بإديا الاتنين كإنه شيء نادر أول مرة اشوفه في حياتي أو أصدق إنه موجود وهو بالفعل كان كدا, شكله أزرق لامع بيتغير للاسود مع مواجهته للقمر وبيزداد زرقة لو واجه الشمس.

لبست الخاتم ومع كل لمسة داخل صباعي كنت بحس كإني أنا نفسي بلبس شئ فوق جسمي كله مش مجرد شئ في صباعي, حسيت بتقل في جسمي وفي نفس الوقت نشوة وقوة وبمجرد ما استقر الخاتم في مكانه بين صوابعي ظهر على مبعدة مني ومن بهرام "شادم" خادمي وخادم الخاتم واللي عرفت اسمه بمجرد ما لبست الخاتم, بصيت عليه لقيته ظهر بصورة إنس ضخم أقرع الراس ولحية كثيفة ومرتبة, لابس ملابس فضفاضة وفي إيده خنجر بيلمع في ضوء القمر.

بهرام قعد على الأرض وأنا قعدت قصاده وقالي على مهمتي الأولى, واللي طبعا ممكن متصدقوهاش أو تفتكروها شئ من الخيال.

فيه جن متشكلين بهيئة البشر عايشين حوالينا وبنشوفهم كل يوم, الجن دول بيكونوا هربانين من قبائلهم أو من القبائل المتحالفة مع قبائلهم وقرروا يكملوا حياتهم بين البشر في الحالة المادية لحد موتهم, بيكونوا معمرين, عيونهم بيكونوا عارفين اسمك وكل حاجه عنك, لبسوا وشوشنا واتعلموا لغتنا, ممكن تكون قعدت مع واحد منهم في المواصلات, أو اتكلمت وهزرت معاه كمان بدون ما تعرف, بيحاولوا يختاروا شغل يكون منعزل وبعيد عن الناس وبتلاقي الواحد منهم ملوش أهل ولو سألته عن أهله وأسرته يقولك أنا سافرت من البلد الفلانية زمان وجيت عشان أعيش هنا وقطر الحياة فاتني ومكونتش أسرة..إلخ ويحكيلك شوية حاجات يخلوه يصعب عليك وتفكيرك ينصب على وحدة الراجل وبؤسه بدل ما تفكر هو ليه ساب بلده أو ليه مكونش أسرة هنا أو أو..

الجن بيكونوا عارفينه وقادرين يوصلوله بس بيكون طقس أو طلسم متحامي بيه والغالب عملهوله ساحر قوي بعد ما الجن دا قدمله خدمة كبيرة, وكان المطلوب مني في مهمتي الأولى إني أروح أفك الطلسم من واحد منهم عشان دمه مطلوب من القبيلة بتاعته وقبيلة بهرام اتكفلت بإنهاء المهمة دي.

كان حارس مدرسة في قرية بعيدة من قرى الصعيد..

موضوع الجن اللي موجود معانا بين البشر وعايشين عادي يعتبر من أغرب الحاجات اللي عرفتها طول الشهر اللي قضيته مع "بهرام" ولولا العلوم اللي اتعلمتها والحاجات اللي شوفتها مكنتش هصدق المعلومة دي والأغرب كمان إني المفروض أقتل واحد منهم, بهرام اختفى بعد ما شرحلي المهمة اللي هعملها وأنا فضلت باصص قدامي بتخيل اللي هيحصل بيني وبين الجن اللي المفروض اخلص عليه.

بصيت لـ "شادم" وقولتله عايزك تعرف فين مكانه وبيعمل إيه دلوقتي وتجيب كل المعلومات اللي ممكن تعرفها عنه, بعد ما خلصت كلامي بصلي واختفى وبعد ثواني ظهر من تاني وهو قريب مني وقالي اسمه "مرسول" بيشتغل حارس لمدرسة ابتدائي وساكن في غرفة صغيرة ملحقة بالباب الخلفي للمدرسة, بيشتغل الشغلانة دي من 6 سنين وطول الفترة دي مكونش صداقات مع حد كعادتهم, كلامه قليل والمدير والمدرسين بيحبوه لأنه في حاله ومش بيتدخل في اللي مالوش فيه.

"شادم" خلص كلامه وأنا تفكيري لسه مخلصش, سألته هو عمل إيه عشان يهرب لعالم الإنس ويعيش فيه ويضطر يتخلص من كل مزايا الجن اللي بيتمتع بيها؟ سألته وكنت بكلم نفسي في نفس الوقت, رد عليا وقالي إن التفسير دا مش مسموحله يقولهولي, والمطلوب مني أنفذ مهمتي الأولى ولازم أنجح فيها عشان اترقى درجة وكمان "شادم" قوته تزيد درجة مع ترقيتي.

قولتله خلاص انقلني للمكان اللي فيه المدرسة دي, شادم مد صباعه وأنا مديت صباعي وبمجرد ما لمسته اختفت كل حاجه حواليا ولقيت نفس في مكان مختلف, طريق أسفلتي قديم مغطيه التراب موجود زرع في الناحيتين وقدامي بحوالي 100 متر ظهرت المدرسة واللي أكيد الحارس بتاعها هو الجني المطلوب الخلاص منه.

مخبيش عليكوا كنت خايف لكن الأسرار اللي اتعلمتها كانت مجمدة قلبي وكمان وجود شادم معايا برضو كان مقويني, خوفي بس كان من البداية, البدايات دايما بتكون صعبة لكني كنت متأكد إنها مجرد بداية وبعدين هعتاد الموضوع.

قربت من سور المدرسة ومشيت لحد ما وصلت لبابها الحديدي, باب أبيض ألوانه باهتة وقديمة, وقفت لثواني استجمع قوتي, السور العالي والشبابيك السودا المقفولة والأنوار المطفية كانوا عاملين رهبة للمكان, مفيش بس غير لمبة واحدة والأكيد إنها لمبة غرفة الحارس.

راجعت كلام "بهرام" وهو بيقولي إن النوع دا من الجن ما يتقتلش بسكينة ولا نار, دا لازم يتكسر رباطه الأول, مربوط باسم بشري ماكه في الدنيا, والطلسم بيتضاف له اسمه واللي بيعتبر طلسم "فك القناع".

خبطت على الباب ورجعت لورا كام خطوة عشان اتجنب المواجهة المباشرة معاه, كل المطلوب لنجاح المهمة هو طلسم يتقال في وجود الجن المطلوب وبيكون أقوى لو عيني كانت في عينه, مفيش حد رد عليا قربت من الباب عشان اخبط عليه تاني وبمجرد ما قربت خطوتين سمعت صوت باب بيتفتح واللي واضح إنه باب غرفته, رجعت لمكاني تاني وفضلت باصص على باب المدرسة مستنيه يفتح.

سمعت صوت مزلاج الباب الحديدي الصديء المزعج في سكون الليل والباب اتفتح وظهر من وراه "مرسول" كان لابس جلابية صعيدي مفتوحة الصدر وحاطط طاقية ولافها بشال فوق راسه, تنكره يعتبر أيقوني, لو حد شافه في أي مكان في العالم بالشكل دا هيقول عليه مصري صعيدي أصيل.

أول ما شافني قال "اتأخرت كنت فاكرهم هيبعتوا حد أقدم منك"

اتهزيت لوهلة وأنا مش مصدق عرفني إزاي وعرف مهمتي اللي جايه اعملها برضو إزاي؟ لكن مكانش ينفع اخاف أو اتردد, رفعت إيدي في الهوا ورسمت دايرة حواليه كان وقتها بيحاول يهاجمني بس جسمه البشري كان ضعيف وبعدي عن الباب بعض الخطوات كانت خطة كويسة مني, كملت الدايرة في الهوا وهو في نصها وبمجرد ما قفلتها ثبت مكانه وفقد القدرة على الحركة, بعدها بسرعة قولت الطلسم ودمجته باسمه الحقيقي في عالم الجن.

في اللحظة اللي همست فيها باسمه الحقيقي فجأة الظل اللي ورا الحارس اتحرك قبل جسمه والقناع اللي على وشه وقع لثواني مكانتش عادية, الوش الإنساني اتشقق كإنه زجاج قديم ومن وراه بان شكل مينفعش يتشاف كامل, عين واحدة كانت كفاية..لونها أسود عميقة كأنها فاكرة خطايا الجن اللي مات من زمان.

الحارس مصرخش بس المكان اتحول لبرد فجأة والهوا بقى تقيل والجو كتم جدا, حسيت في اللحظة دي إن اللي اتعلمته مش بس قوة, دا طريق مالوش رجوع وهدفع تمن كتير طول مانا ماشي في الطريق دا.

همست باسم "شادم" ظهر جمبي وفي إيده الخنجر اللي ملازم إيده كإنه جزء منها, قولتله أنا مهمتي خلصت والباقي مهمتك, وسبته ومشيت خطوات قليلة بعيدة عنهم بس معرفتش امنع نفسي أني أبص ورايا اشوف أول مشهد قتل جن قدام عيني.

شادم اتحرك ناحيته بعيون هادية ودا كان بالنسبالي لو كنت مكان مرسول هيكون قمة الخوف, هيئة مرسول بدأت تتحول تدريجيا من الإنس للجن, جسمه اتفكك زي الدخان وشكله الحقيقي بدأ يوضح بالتدريج, جسمه كأن أطول من الطبيعي وجلده كإنه ظل متماسك وعيونه مليانه تعب مش غضب, وفي اللحظة اللي شادم مسك فيها راسه وقرب الخنجر لفيت وشي لا إراديا وسمعت صوت صرخة مكتومة لمدة ثواني وبعدين سكون.

كنت بعدت مسافة كبيرة عن المدرسة وانا بفكر في اللي عملته واللي ممكن اعمله في المستقبل, ظهر شادم جمبي مستني أوامري, فضلت ماشي وهو ماشي جمبي, كنت تايه في الأفكار وبعد شويه مديت إيدي ناحيته واحنا بنمشي وقولتله رجعني مكان, رفع إيده وبمجرد ما صباعه لمسني رجعت للبيوت القديمة من تاني.

كان "بهرام" مستنيني ومبتسم جدا وجمبه ابنه اللي مشوفتوش غير مرة واحد وهي لما جيت المكان دا أول مرة, ملامحه بقت أهدى ونظراته ليا مكانتش كلها غضب زي المرة الأولى لكن كان باين عليه إنه مبيحبنيش.

طلبت من بهرام إني أرجع لحياتي الطبيعية ولو احتاجوا حاجه تاني هيلاقوني, كنت محتاج وقت أنسى فيه اللي عملته دا, لإني متأكد إن ملامح مرسول وصورته هيفضلوا ملازميني فترة مش قليلة.

بهرام وابنه بصوا لبعض اللي هو مش متوقعين طلبي دا, بعدين اتكلم وقالي صعب ترجع تاني, المفروض هحددلك مكان تروح تعيش فيه سنة وتمارس الحاجات اللي اتعلمتها على البشر, خلال السنة دي تزيد قوتك وهظهرلك من وقت للتاني أعملك حاجات أكتر تستفاد وتفيدنا بيها طول مدة انضمامك للقبيلة.

مكنتش مصدق اللي قاله, سنة! يعني أنا هفضل بين أيديهم يعملوا فيا اللي عاوزينه؟

صوتي ارتفع وانا بقوله سنة كتير, أنا عايز ارجع لحياتي الطبيعية, وقبل ما اكمل وانفجر قالي هي السنة بس وهترجع لحياتك الطبيعية عادي جدا وتكملها زي ما تحب بس لازم تكمل السنة في المكان اللي قررناه, باسم جديد وهيئة جديدة.

قولتله بقلة حيلة بس أنا عاوز اقضي كام يوم قبل ما السنة دي تبدأ, وفي بالي كانت أمي اللي اشتقتلها جدا وليا شهر مشوفتهاش, مكانش ليا غيرها ولا هي كمان ليها غيري, وكمان كنت عايز ابعدها عن الجن المتشكل في هيئتي وعايش معاها لإني مش مطمن للموضوع دا.

بهرام هز راسه بالموافقة وقالي تلات أيام وارجع تاني عشان اجهزك, وفي لمح البصر همست باسم شادم ومديت صباعي ناحية إيده ولإنه ملازمني دايما فهو كان عارف هيودیني فين..

كنت حاسس إن السنة اللي هقضيها وأنا معالج في الصعيد هشوف فيها العجب, هقابل حالات معندهاش أي أمراض لكنهم مقتنعين بعكس كدا, مصدقين إنهم أكتر ناس محسودين أو اللي حواليهم بيخططولهم للشر, وأغلبهم هيكونوا ستات, اللي حماتها مش بتحبها وحاطالها حجاب ومش عارفه مكانه, اللي مرات أخو جوزها عملتلها عمل ورشته قدام شقتها عشان غيرانة منها بسبب السعادة اللي عايشين فيها هي وجوزها مع إنها ممكن تكون أكتر واحدة منكده عليه حياته لكن بتكون مقتنعة بغير كدا.

ستات كتير مبيكونش عندها حاجه بس عقلها بيوهمها بغير كدا, إن اللي حواليها مش بيحبوها, قرايبها من العيلة, وجسمها بيستجيب لوساوس العقل دي وتبدأ تضعف وتعمل حاجات شبه اللي بيعملوها المجانين فعلا أو المسحورين وهي في الأساس معندهاش أي حاجه, وزي ما رحلة مرضها بدأت بالوهم, رحلة مرضها بتنتهي بالوهم برضو, لما أقنعها إنها فعلا مسحورة وأطلعلها حجاب عبارة عن ورقة قديمة متطبقة كذا طبقة ومرسوم عليها شخابيط واقولها الحجاب بتاعك أهو, وامسكه في إيدي واتمتم بأي كلام ملوش لازمة واحرقه قدامها وأقولها خلاص كدا, انتي بقيتي نقية ورجعتي جديدة كإن معندكيش حاجه.

عينها في نفس اللحظة بتلمع وبتقوم تجري وهي في كامل صحتها مع إنه بتكون داخله عليا باتنين متسنده عليهم.

لكن أول حالة جاتني كانت حقيقية فعلا وبتعاني من المس..

كان اسمها فاطمة, عندها 30 سنة, متزوجة وأم لطفلين, أمها جابتهالي, فتحتلهم الباب وبمجرد ما الباب اتفتح دخلوا بسرعة بدون كلام, كإنهم خايفين من حد ماشي وراهم أو مش عايزين حد يشوفهم وهما داخلين عندي, كل الناس مقتنعة إنهم هيتفضحوا لو حد شافهم رايحين لمعالج, وفي نفس الوقت مقتنعين كل الاقتناع إن الحل الوحيد لمشاكهم هو عند المعالجين والدجالين والسحرة, منطق عجيب!

البيت اللي أنا ساكن فيه عبارة عن دور أرضي فيه صالة وغرفتين, واحدة بنام فيها والتاني بستقبل فيها الحالات, أجرهولي واحد من الجن المتشكل, اتفق مع مالك البيت اللي جمبي واللي أنا ساكن فيه إنه هياخد منه البيت إيجار لمدة سنة, وعرض عليه مبلغ ضخم مينفعش يترفض, وعرّفه إن اللي هيسكنه راجل مبارك.

الجن دا من الملازمين ليا, قبيلته هي اللي كانت طالبة راس مرسول وأنا قدمتهالهم واتكافئت بيه لخدمتي, ودرجته عالية جدا وسط القبيلة, اسمه "آزور"

بمجرد ما فاطمة دخلت البيت بصت حواليها لحظات على الحيطان وعنيها مبحلقة جدا وراحت أغمى عليها, أنا كمان حسيت بحضور لكيان قوي اقتحم المكان وشوفت "شادم" وهو بيتجهز للقضاء عليه لأنه موكل بحمايتي ومنتظر ياخد الأمر مني, أما "آزور" فمكانش بيتدخل في أي حاجه غير لما أطلبها منه بشكل مباشر.

أمها قالت هي أهي على الحالة دي من شهر وزيادة وتعبنا معاها, كل ما نوديها لواحد يقرا عليها وتخف شويه لكن بترجع للحالة دي تاني, ساعدتها انها تشيلها ودخلتهم الغرفة اللي بستقبل فيها الحالات وقولتلها احكيلي اللي حصل معاها.

الكيان اللي معاها كان واقف بره الغرفة مينفعش يدخل لإني محصنها بطلاسم قوية جدا لحمايتي في حالة حصل لشادم أي حاجه, اتعلمت في العالم دا إني متطمنش للقدر مهما كان معايا من خدمة ومهما كان عددهم.

أمها قالتلي اللي حصلها حصل يوم الخبيز فجأة وهي قدام الفرن وقبل ما تخلص سمعناها بتصرخ وبتجري في المكان هنا شويه وهنا شويه واحنا مش فاهمين حصلها إيه وكانت أول مرة تعمل فيها كدا, كانت أمها بتحكي وشادم بيحكي وفي وسط كلامها سألتها انتوا ساكنين قدام المقابر صح؟

أمها سكتت وبصتلي بانبهار, كان لازم اعمل كدا وأبينلها قدراتي عشان من خلالها هتجيني زباين تانيه, وكملت قولتلها ابنها كان بيلعب بره ولقي حبل مرمي على الأرض وخده البيت وحطه جمب أمه وسط الحاجات اللي بترميها في الفرن عشان تزود النار أكتر.

المشكلة الحبل دا كان معقود ومعمول عليه عمل من زمان ومدفون جمب قبر من القبور وبعدين طلع للسطح بمرور الوقت لحد ما خرج بره المقابر ووقع في ايد ابنها ولما حرقته الجن اللي فيه اتحرر وحصل مس.

القصة اللي قولتهالها صعب تتصدق لكن لما قولتلها في البداية إنهم ساكنين قدام المقابر وانبهرت بيها عقلها بقى مستعد يصدق أي سبب أقولهولها أو فلوس أطلبها منها, لكني كنت بقولها الحقيقة فعلا وكمان كملت وقولتلها بنتك ساعات بتقعد تبص على الحيط وتشاور على حاجات مش موجودة, وفي الأيام الأولى كنتوا تصحوا من النوم متلاقوهاش وتدوروا عليا تلاقوها واقفة في المقابر, وحصلت كذا مرة مش مرة واحدة دا غير الصراخ المتكرر وشعرها اللي بيوقع وساعات تجيلها حالات سرحان ومتعرفش أولادها.

كان باين في عيون أمها إنها خلاص بتتكلم مع المخلص اللي هيحللها مشكلة بنتها لدرجة إني وانا بتكلم لقيتها فجأة مسكت إيدي ووطت عليها عشان تبوسها وهي بتطلب مني أعالجلها بنتها, شديت إيدي وطمنتها وقولتلها بنت هترجع معاكي سليمة إن شاء الله, وقولت في بالي كفاية شرح وكلام أكتر من كدا, هي اتسحرت بيا وصيتي وشهرتي هيزيدوا في القرية.

بدأت أتمتم بطلسم يعتبر من أوائل الطلاسم اللي اتعلمتها, وهي بتستخدم في إضعاف الجن وبمجرد ما بدأت فاطمة بدأت تصرخ وامها ماسكاها بتحاول تسيطر عليها وفجأة سمعنا الباب بدأ يخبط بقوة, الجن بيحاول يدخل ينقذها وينقذ وجوده معاها, أمها بصت ناحية الباب بخوف وبصتلي, اللي بيخبط مكانش تخبيط استئذان للدخول, كان تخبيط اقتحام, قالتلي انت فيه حد معاك في البيت؟ كانت مستنيه اقولها اه عشان تطمن لكن كنت مشغول بقراءة الطلسم, وضربات الباب بتزيد أعلى وأعلى وبعدين رفعت عيني لشادم وشاورتلي بدماغي وفهم إن كدا

خلاص دوره جي, مد إيده بالخنجر اللي معاه دايما وخرج من الحيط للصالة وبعدها بلحظات سمعت صرخة كبيرة وبعدها هدأ كل شيء والأجواء رجعت للسكون مرة تاني.

فاطمة بدأت تستعيد وعيها بالتدريج وأمها فرحت وجريت ناحيتي وهي منحنية وبتقولي طلباتك قول اللي انت عاوزه وبدأ صوتها يخالطه بكاء فرح, قولتلها مفيش طلبات ولا حاجه خدي بنتك وارجعوا بالسلامة, بس متنسيش لو حد محتاج مساعدة زي بنتك كدا تقوليله عنواني.

الحالة التانية كانت من أصعب الحالات اللي ممكن حد يسمع بيها أو يصدق إنها موجودة أساسا, أهلها كانوا فاكرينها مس عادي لإنها مكانتش تتكلم عن نفسها ولو حد سألها اسمك إيه تقول أنا مش هنا, مبتقولش أنا جعانة أو تعبانة أو خايفة, مبتقولش حاجه خالص, عايشه باصه للسما كإنها في عالم لوحدها.

عرضوها على الدكاترة لكن معرفوش يحللوا علّتها, مفيش انفصام أو هلاوس مثلا, كل مشكلتها إن معندهاش إحساس بالأنا, وعيها موجود لكن من غير صاحب.

نبضات قلبها طبيعية بس لما بيحطوها على الأجهزة بتسجل نشاط دماغي كإن حد لسه صاحي, أحيانا بتقول "الدور لسه مجاش" بدون ما حد يكلمها, ولا يوجهلها سؤال, بتقول الجملة دي مرة كل يوم أو يومين.

الغريبة إنها لما جات كان معاها حوالي 3 رجالة واتنين ستات, منهم أخوها وجوزها, اسمها صفية وابنها اللي جي معاها كان نفس عمري تقريبا.

كان واضح من العدد اللي جي معانا وملامحهم إنهم ميفرقش معاهم الناس تعرف ولالا لإن الناس تقريبا عارفين من كتر ما لفوا بيها على دكاترة ومعالجين, فتحتلهم الباب وانا بفكر اجيب مساعد ليا عشان مش انا اللي افتح الباب كله مرة ومنها برضو احافظ على الكاريزما بتاعتي قدام الزباين, مفيش روحاني هيقوم يفتح الباب بنفسه.

دخلوا بيها البيت وطلبت منهم اتنين بس يدخلوا معاها الأوضة والباقي يستنى بره, ابنها وبنتها دخلوا معاها والباقي استنى, كانت ماشيه عادي وهي بتدخل الأوضة, دخلت زي ما دخلت من باب البيت بدون مشاعر وبدون ما تبص حواليا, زي الانسان الآلي اللي بدون روح, لا ونظراتها ثابتة جدا يعني لو حد قلبه ضعيف شافها أكيد هيخاف منها.

شاورتلهم يقعدوا وقعدت قصادهم وأنا بتابع عنيها وحركاتها, كانت ثابتة خالص وهادية وباصة فوق راسي, قبل ما اعمل حاجه لقيت "شادم" قرب ناحيتي ووقف جمبي من غير ما اطلب منه حاجه, في البداية قلقت إن الست دي ممكن تكون ممسوسة بجن قوي وممكن يإذيني وشادم قرب مني عشان يحميني منه أو يلحقني في الوقت المناسب, لكن الغريبه لقيته واقف جمبي وبيبص في الست دي وهو مش فاهم حاجه, وبعد ثواني من التوتر ونظرات ابنها وبنتها ليا واللي معناها يلا شوف شغلك وورينا هتعمل إيه, لقيت شادم بيقول باندهاش "دي مش ممسوسة, دي متسابه"

متسابه!

أول مرة اسمع الكلمة دي, مقريتهاش في كتاب قبل كدا ولا حتى بهرام جابلي سيرة عنها وعن النوعية دي من الجن أو الناس أو المخلوقات عموما!

تمتمت في إيدي باستغراب كإني بقرأ حاجه عشان اتجنب نظرات ولادها المتشككة وفي نفس الوقت عشان اتكلم مع شادم وقولتله يعني إيه متسابه؟

قالي أغرب حاجه ممكن أسمعها في حياتي

"فيه ناس روحها وهي بتخرج من الجسد بتسيب حد تاني ماسك المكان, مبيكونش جن, بيكون جزء من روحها"

حاولت استوعب الكلام وافهم المقصود منه إيه, سألته تاني يعني إيه؟

قالي الست دي اتعرضت لموقف كان لازم تموت فيه لكنها مماتتش, ومن اللحظة دي روحها اتأخرت والجسد بقى فاضي جزئيا, وحلها الوحيد إننا نساعد الجزء الباقي من روحها على الخروج.

قولتله بس في الحالة دي مع خروج الروح بالكامل, الست هتموت!

قالي دا حلها الوحيد يا إما هتفضل على الوضع دا على طول ومفيش علاج هينفع معاها غير الحال اللي قولتهولك.

طبعا حل زي دا مينفعش أعمله لوحدي مع إني معرفش طريقته أساسا, هزيت راسي بتفهم وبان عليا الحزن وأنا شايف نظرات اللهفة في عيون أولادها وأخيرا اتكلمت ووجهت كلامي لابنها وسألته, والدتك اتعرض لموقف كانت ممكن تموت بسببه؟

فتح بقه من الصدمة وعنيه بحلقت وسألني عرفت إزاي؟

اللي عمله دا كان خطوة البداية عشان يأمن بقدراتي وميظنش إن زيبي زي أي معالج راحله قبل كدا, وقبل ما يتكلم رحت مديت كف إيدي في وشه يعني متتكلمش واتكلمت أنا.

قولتله عندكوا حوش للبهايم في البيت وفيه حيطة مكسورة من زمان وكنتوا بتفكروا تهدوها وتبنوها تاني احسن توقع على حد لكن كنتوا بتكسلوا وتأجلوا الموضوع من وقت للتاني, وفي يوم أمك كانت بتحلب البقرة في الفجر كالعادة ومكانش حد معاها, ولما خلصت حلب وراحت تحط اللبن في مكانه المعتاد تحت الحيطة دي راحت واقعه عليها, وقعدت على الحال دا ساعتين وأكتر لحد ما انتوا اخدتوا بالكوا وطلعتوها من تحتها, ومن وقتها أمك اتغيرت وبقت على الحالة دي.

ابنها مكانش مصدق كل التفاصيل اللي قولتهاله, شاورتلي يقف وييجي معايا اكلمه على جمب, وقف ومشي ورايا منصاع والدهشة لسه على وشه, قولتله والدتك كان المفروض تموت في الوقت دا, بس روحها اتعلقت ومطلعتش بالكامل.

بلع ريقه وقالي بس الحمد لله هي مماتتش, طبعا هو مش فاهم اللي قولتهوله وحقه طبعا ميفهمش, أنا نفسي مفهمتش غير لما شادم شرحلي.

قولتله طبعا الحمد لله على كل شيء بس الحل الوحيد لوالدتك إننا نساعد روحها إنها تطلع بالكامل, سواء وافقت أو رفضت الكلام دا سر بينا احنا الاتنين بس, ميطلعش بره.

أنا مكنتش عارف جبت الحكمة والثقة في نفسي دول كلهم منين, كنت متقمص دور الدكتور الجراح اللي هيعمل عملية ونسبة نجاحها معروفة صفر في الميه, لكن وقتها بيعملوها عشان

ينقذوا مريض تاني, سواء يضحوا بالجنين عشان الأم أو يضحوا بالأم عشان الجنين, لكن في الحالة دي!

أقنعت نفسي بعدين إن هي كدا بتتعذب وبتعذب اللي حواليها ولو ابنها وافق وأنا عرفت الطريقة يبقى لازم نريحها بدل ما تقعد كدا طول عمرها, ومش عارف إذا كان حرام ولا حلال بس فكرت بنفس منطق الدكاترة وسبت الابن هو اللي يختار.

بعد ما خلصت كلام معاه, تاه مني وتقريبا مبقاش سامع باقي الكلام اللي قولتهوله, في الآخر قولتله شوف وقرر وأنا معاك سواء دلوقتي أو بعدين بعد ما تاخد راحتك في التفكير وتعرضها على حد تاني يمكن يكون لها علاج معاه.

هز راسه وقال لاخته يلا, وهي كلمت أمها وبمجرد ما خلصت كلام راحت الأم وقفت بطريقة آلية وخرجت من الغرفة زي ما دخلتها, أنا لوهلة خوفت منها, مخوفتش من جن زي ما خوفت من الست دي, الجن عارفه سواء بعد ما اتعاملت معاه أو قبل, لكن الست دي بالحالة دي كانت مخيفة فعلا, فكرت بعيد الشر إني أكون مكان ابنها واتخيل الحياة معاها بعد ما عرفت علّتها, خوفت منها ومن حالتها وفي نفس الوقت مخوفتش لإنها هتكون في الأول والآخر أمي, ومستحيل أخاف من أمي ولو اتحولت لجن, مسحتيييييل!

نفضت الأفكار دي من راسي وأنا حاسس بالأسى عليها, الابن خدهم وخرجوا كلهم, وأنا قعدت مكاني سرحان في حاجات كتير.

سمعت صوت شادم بيقولي هتعمل إيه لو وافقوا ورجعولك تاني؟

قولتلك هخليك تساعدني ونخلصها هي وأهلها من اللي هما فيه بس بصراحة صعبانين عليا والمفـ

قالي انا معرفش أفيدك ولا شوفت حاجه زي دي قبل كدا, بصتله باستغراب وقولتله امال هعمل إيه أنا معرفش اتعامل في حاجه زي دي, ارجع لبهرام وخليه يشوف حل, هو السبب في اللي أنا فيه دلوقتي وهو اللي هيعرف يتصرف.

وسبته ورحت أنام لإني اتقفلت من الدنيا كلها وصورة الست دي في بالي مش مفارقاني, مهما قولت إنها صعبانة عليا وكررتها كذا مرة سواء دلوقتي أو قبل كدا مش هعرف أوصلكوا إحساسي ناحيتها وعطفي عليها, وبدأت من جديد أحط نفسي مكان ابنها واسأل نفسي لو مكانه كنت هتصرف إزاي؟!

فضلت على الحالة دي لحد ما كنت خلاص دخلت في النوم لكن صحصحت لما شادم ظهر جمبي وقالي بهرام باعتلك رسالة وبيقولك إنه لقى الحل, ودي كانت آخر جملة سمعتها قبل ما اروح في النوم.

مرت أيام زارني فيه عدد مش قليل من الحالات, بعد ما كان كل يوم تجيلي حالة أو اتنين بدؤوا يزيدوا لخمسة وستة بعد ما كل الحالات اتماثلت للشفاء على إيدي الحمد لله, وكنت بدأت أفكر جديا أجيب حد يساعدني في استقبال الحالات وترتيب الدخول لحد ما لقيت عم "جابر" واحد على قد حاله, راجل شارف على الستين من العمر, هادي ومبيتكلمش كتير وفي نفس الوقت حازم وشخصيته فيها قوة, لحد ما في يوم لقيته داخل عليا وبيقولي فيه شاب بره جاي مع أمه وبيقول إنهم زاروك قبل كدا.

قولتله دخلهم بسرعة, وعصفت بيا ذكريات زيارتهم الأولى وحالتها وكلام شادم ليا قبل ما أنام وافتكرت إن الحل عند بهرام, شاورت لشادم براسي إشارة معناها روح شوف الحل وتعالا بسرعة, وفي اللحظة دي دخل عليا ابنها ومعاه راجل في أواخر الأربعينات عرفت منه إنه خاله, ودخلت الست بمشيتها الآلية وبنفس نظرات اللاوعي وقعدت في المكان اللي شاورولها عليه.

ابنها قعد قدامي وقالي كلنا لله, عرفت إنه خلال خد القرار وعلى الرغم من إني المفروض افرح لإني هتعلم حاجه جديدة إلا إني حسيت بحزن عميق كإن الست دي أمي, وبعد شوية مش هتكون معانا في الدنيا.

ناقشته شويه وسألته انت متأكد وغيرها من الأسئلة لحد ما شادم يجيب لي الطريقة, ابنها كلمني عن معاناتهم معاها, إنها معاهم ومش معاهم في نفس الوقت, ولما روحها ترجع للي خالقها يكون أحسن وإنهم بكدا هيريحوها من اللي هي فيه, وفي وسط كلامه شوفت شادم بيتشكل في المكان اللي دايما بشوفه واقف فيه وجمبه بيتشكل جن عجوز باين من طريقة لبسه وهيئته إنه حكيم من حكماء الجن أو طبيب, أو شيء عنده علم كبير يعني, حتى عنيه فيها ذكاء مش طبيعي.

شادم قرّب مني وقال إن برهام بعت معاه الجن دا لإنه هو الوحيد اللي عنده العلم بعلاج الحالة النادرة جدا دي, جن كلفه كتير لإنه من قبيلة تانيه, وكل ما عليك انك تسمع اللي هيقولهولك وتعمله وتسيب الباقي عليه.

كان واقف مستني شادم يخلص كلامه وأنا باصص عليه وفي الأخير قالي بصوت عميق كإنه بيتكلم جوه عقلي, الطقس دا هيتم بطريقة واحدة ولازم أنا وأنت نكون متناغمين فيها عشان ننجح من أول مرة لإنه لو فشل هنستنى شهر قمري كامل, شادم قالي الأفضل إنك تنجح من أول مرة لإن الجن دا سعر خدمته غالي وهيكلف بهرام كتير.

طلبت من ابنها يروح يجيب طوب أو تراب من الحيطة اللي وقعت عليها, وطلبت من عم جابر يجيب طست كبير ويملاه مياه, ويحطه في نص الأوضة, ابنها رجع بعد دقايق ومعاه شوال صغير كله تراب وقطع من الطوب, أخدت منه الشوال وفضيت محتواه في الطست وبدأت أفعص في الطوب اللبن بإيدي عشان يتمزج بالمياه ويتحول لطين, كل دا بناء على كلام الجن اللي جي مع شادم وبعد ما خلصت كل حاجه طلبت من الست إنها تقوم وتقف وسط الطست دا وطلبت من ابنها وأخوها يقفوا جمبها عشان يسندوها لإنها في أي لحظة هتقع بعد إنهاء الطقس, قامت ووقفت وهي باصه في عيني, شعور مؤلم لما تبص في عيون حد انت عارف إنه هيموت بعد دقايق, المحكوم عليه بالإعدام بيكون عارف إنه هيموت, لكن الست دي وقفت بكل هدوء وطاعة وهي مش عارفة إن دي آخر مرة هتقف فيها على رجلها.

وقفت قدامها والجن وراها وابنها على يمينها وأخوها على شمالها, شادم في ركن الغرفة بيتفرج علينا, الجن وراها بدأ يحرك إيده ويرسم إشارات على ضهرها وبدأت اشوف خيوط ضوء بتتحرك من صوابعه مع كل حركة يعملها, وبعد لحظات حسيت بشيء قوي والهوا في المكان بقى تقيل جدا ولمحت بعيني قطع صغيرة من الطوب في حجم حبة الفول بدأت تطفو فوق المياه وتطلع فقاعات كإنها بتغلي, الجني طلب مني أسيطر على المياه لحد ما يخلص تعويذته, رحت أنا كمان أقول كلمات أسيطر بيها على المياه, وبمرور الوقت الجو بقى أتقل والمياه فقاعاتها زادت وأنا بحاول أسيطر عليها بكل قوتي, والجن ورا الست بدأ يتحرك خطوات لورا وماسك بإيده حاجه بيشدها بقوة وبدأ يرجع بصعوبة جدا لحد ما نجح وشد حاجه في إيده اختفت قبل ما اشوفها وفي اللحظة دي الست قوتها انهارت وبمجرد ما ركبها انحنوا لقدام راح ابنها واخوها مسكوها بقوة ومالت ناحية ابنها راح أخوها ساعده يحطها فوق كتفه, وابنها خرج بيها شايلها جثة هامدة.

أخوها بعد ما اتطمن بص ناحيتي بحزن وقالي طلباتك, وقتها أنا مكنتش في حالة تسمح بالكلام, قولتله ادفنوها وبعدين نتحاسب وكملت وقولتله البقاء لله.

مش كل الحالات اللي بتجيلي بقولكوا عليها, معظمها بيكون عادي وممكن تكون مرت عليكوا قبل كدا, أنا بحاول احكيلكوا عن الحالات النادرة, أو الصعب حد يصدقها, ومن الحالات دي بنت عندها 17 سنة اسمها زينة, كانت زينة اسما وصفة.

في يوم لقيت راجل داخل عليا ومعاه مراته وبنته, البنت كانت جميلة جدا لدرجة فوق الوصف, شبه البنات الأوربية اللي بشوفهم في الأفلام, وشها ابيض في اصفر, عنيها أزرق في اخضر, ملامح تحسن سلالة أي عائلة هتنضم ليها الجميلة دي.

أبوها وشه كان متجهم جدا وداخل عليا كإنه مغصوب أو مغلوب على أمره وأمها بتهمسله بكلام تحاول تهديه, قعدوا قدامي هما التلاته وبعد صمت تقيل من أبوها, قالي هو اللي بيتقال هنا بيفضل سر يا سيدنا الشيخ؟ قولتله أكيد بيفضل سر وبيندفن معايا بعد موتي.

اتنحنح شويه كإنه عايز يتراجع عن اللي هيقول وبعدين قالي ماهو لمؤاخذه لو اللي قولتهولك طلع بره البيت دا هيكون فيها موتك فعلا.

أنا في العادة مباخدش على كلام الناس المرافقة للحالة, أغلبها بيكونوا تعبوا نفسيا من كتر اللف على الدكاترة والمعالجين أو الدجالين والسحرة, وبتفهم أي حاجه يقولولها وبحاول مظهرش على وشي أي ردة فعل وببقى هادي ومتماسك على قدر الإمكان.

طمنته وقولتله متقلقش, كل اللي هتقوله مش هيطلع بره الأوضة اللي احنا قاعدين فيها دي, سكت شويه كإنه بيشاور نفسه وبان عليه الضيق إنه جي لحد عندي, وأنا كنت عارف إنه مجابوش هنا غير شيء فاق قدرته على التحمل وتقريبا أنا الحل الأخير, وفي النهاية قال بدون لف ودوران البنت دي بنتي, حامل من غير جواز وعايز اعرف اللي عمل فيها كدا عشان ادفنه معاها, كنت ناوي ادفنها لوحدها لكن سرها هيموت معاها وأنا هفضل أهري لإن اللي عمل عملته هيفلت مني, وفي وسط كلامه مراته قربت من ودنه تقوله حاجه راح نكزها بكوعه خلاها سكتت وكمل وقال, أمها قالتلي الدورة بتاعتها اتأخرت زيادة عن اللزوم وفي الآخر شافت بطنها بتكبر ودا ملوش غير سبب واحد إنها حامل, وأنا جيتك عشان تعرفلي مين اللي عمل فيها كدا.

كنت مثبت عيني عليه وأحيانا أرفع وشي لسقف الغرفه كإني متابع حاجه بتحصل ولما بنزلها عيني في عينه كنت ببص على زينة, شدة جمالها خلتني اعمل كدا غصب عني, ولما عرفت قصتها بدأت نظرتي ليها تتحول لدهشة, بصيت عليها بصة كاملة وأنا مش مصدق إزاي الجمال دا ممكن يعمل كدا! دي تشاور لأغني واحد على الكوكب وتقوله اتجوزني بالأمر يقولها شبيك لبيك.

بصيت ناحية شادم في مكانه المعتاد اللي واقف فيه دايما لقيت ابتسامة ظهرت عليه كإنه بيقولي الشغلانة لمّت يا سيدنا.

وقفت وأنا ببص لزينة وأنا مش مصدق الكلام اللي أبوها قاله, الموضوع فيه حاجه غلط, اتمشيت ناحيتها وعند نقطة معينة بدأت تصرخ وفي نفس الوقت سمعنا صوت شيء ضخم بيجري على سقف الأوضة فوق السطح, أبوها وأمها اتخضوا من ردة فعل البنت والواضح إنها أول مرة تعمل كدا, أمها حطت إيدها على بقها عشان تكتم صراخها وأبوها زعق وقالها اكتميها لاحسن اخلي دي آخر صرخة تصرخها, زعقت فيه لا إراديا معرفش جبت الجرأة دي منين وقولتله ممكن تسكت خالص ومسمعش صوتك لحد ما اعرف الحكاية؟

بصيت على شادم اللي هو كمان بص على السطح مستغرب اللي بيحصل وفي ثواني كان في ضهري عشان يحميني من أي شيء مفاجئ ممكن يحصل, وبعد ثواني الصوت اختفى همستله يخرج يشوف فيه إيه وبعد ثواني رجع قالي "آزور" ماسك جن بره مستني منك أوامر يتصرف معاه إزاي.

قولتله خليه يستجوبه ويعرف جي هنا لمين وغرضه إيه, وبعد دقايق قليلة من الصمت كنت بسمع من شادم حكاية زينة بالكامل واللي كانت مختلفة جذريا عن اللي حكاها أبوها.

بصيت ناحية أبوها وقولتله بنتك معاها جن عاشق والحمل دا منه, بصلي وهو مش مصدق اللي بقوله وأنا مديتوش فرصة يتكلم ووقفت اتمشيت ناحية زينة وكملت وقولت هخليكوا كمان تسمعوا منها القصة بنفسكم.

حطيت إيدي على راسها وتمتمت ببعض الكلمات ورجعت قعدت مكاني تاني وبدأت زينة تتكلم لأول مرة من وقت ما دخلت.

بالليل أحيانا كنت بسمع صوت أمي بتناديني ولما اصحى واقولها أيوه أو نعم واكررها مرتين تلاته كان الصوت يختفي, كنت افضل صاحية دقيقتين مثلا مستنياها تنادي تاني عشان عارفه أمي لما بتحتاجني بتفضل تنادي لحد ما اروحلها, لكن الغريب إنها كانت بتسكت ومتناديش تاني!

كنت برجع أنام وأقول أكيد في الحلم أو بيتهيئلي ولأن النوم بيكون مسيطر عليا مبفكرش كتير وحتى لما أصحى تاني يوم بنسى اللي حصل معايا وانسى اسأل أمي إذا كانت نادتني تاني بالليل ولالا.

لحد في يوم مكنتش نايمة بالكامل, كنت خلاص هنام وسمعت صوت أمي اللي بيناديني بس لما ركزت في الصوت مكانش صوتها بالظبط, كان قريب من صوتها جدا, والمرة دي سمعته وأنا صاحية يبقى أكيد أمي عايزاني, لكن هتكون عاوزاني في إيه في الوقت دا! الدنيا ليل جدا وأمي عمرها ما نادتني في الساعة دي قبل كدا, قومت من السرير وفتحت الباب وخرجت وفي اللحظة دي مش عارفة ليه خوفت, لأول مرة اخاف من بيتنا واحس إني حد معايا باصص عليا وهو قاعد في ركن من الأركان, مشيت ناحية أوضة أمي وأبويا لقيت الدنيا هادية خالص وسمعت شخير أبويا كالعادة, وأمي استحالة هتناديني وهو جمب ابويا عشان ميصحاش, هزيت كتفي وقولت يمكن بيتهيئلي ورجعت تاني ناحية اوضتي وكنت لسه خايفة, وفي اللحظة اللي دخلت فيها الأوضة فجأة الباب اتقفل لوحده وحسيت بحد زقني فوق السرير وقعت وحسيت حاجه تقيلة وقعت فوقي زي ما تكون حيطه.

أمها وأبوها في اللحظة دي بصولها باستغراب اللي هو احنا أول مرة نسمع الكلام دا ومقولتيهوش قبل كدا ليه!

زينة كملت وقالت..

حسيت بإيد خشنة فيها شعر كتير فوق بقى بتكتم نفسي, وجسمي كله اتشنج وكان فيه وجع رهيب, حاولت اصرخ أو أنادي على أمي لكن صوتي مطلعش وبدأت احس اني في غيبوبة لحد ما نمت. وحلمت إن فيه شاب عمل معايا قلة أدب. وبعدين زينة سكتت وكإن الكلام انتهى.

لكن الكلام مكانش انتهى, الأحلام دي اتكررت مع زينة كذا مرة, والجن العاشق كان بيجيلها كل ليلة ويسافر بيها لاماكن يسحرها بيها, وفي آخر الحلم كان ينام معاها وهي مستمتعة بالرحلات الجميلة والأماكن الجديدة اللي بتشوفها كل ليلة, بس مكانش ينفع تقول كدا, وفي المرة اللي حست إن الموضوع بقى مريب وقررت تحكي لأمها الجن العاشق خلاها تنسى ومسح الذكريات دي من دماغها وبقى يزورها بس كل فين وفين.

سألتها الكوابيس دي اتكررت معاكي أكتر من مرة صح, قولت كلمة كوابيس عشان أبوها يفهم إن الموضوع غصب عنها وكان عبارة عن كابوس وشيء صعب وكدا

هزت راسها بمعنى اتكرر معاها..

أبوها ساكت مش مصدق اللي بيتقال, ولأول مرة سمعت صوت أمها واضح وهي بتنكزها بكوعها في جمبها وقالتلها مقولتليش ليه؟

قولتلها بنتك حاولت تقولك أكتر من مرة لكن الجن العاشق اللي ملازمها كان بيمنعها ويخليها تفقد الذاكرة ومتعرفش هي كانت جايالك ليه, أمها بصت عليا وكإنها افتكرت حاجه وقالتلي أيوه فعلا ساعات ألاقيها تيجي تقعد جمبي وتناديني كإنها هتحكيلي حاجه ولما اقولها أيوه أو أبص عليها عشان اعرف عايزه تقول إيه ألاقيها نسيت وبصت حواليها كإنها تايهة ومش عارفة هي جاتني إزاي أو جات ليه.

أبوها ضرب كف على كف, وقال يا شيخ الكلام دا ميدخلش العقل, وبص عليا وعلى بنته ومراته كإننا متفقين عليه وألفنا الموضوع دا عشان نداري على بنته وفضيحتها.

قولتله يا حاج عالم الجن كبير وفيه حاجات أغرب من اللي سمعتها دي بملايين المرات, ولو شاكك في بنتك روح لدكتور نساء وخليه يعملك سونار على بطنها ومش هتلاقي حاجه وأراهنك بكدا.

أمها نزلت دماغها في الأرض وقالت عندك حق يا شيخ, جوزها بص عليه وهو مش فاهم, راحت كملت كلام وقالت لما شوفت بطنها بتكبر قولت يمكن مرض ولا حاجه تعباها في بطنها اتنفخت وخلتها كدا, وكنت خايفة اقول لابوها عشان عارفاه عصبي وهيشك وممكن يموتني ويموتها, وفي يوم قولتله رايحه بيت أهلي وخدت زينة للدكتور عشان يفحصها وملقاش حاجه, حتى السونار مظهرش حاجه والدكتور قال مجرد انتفاخات قولون واداها علاج, لكن لما لقيت بطنها لسه بتكبر معرفتش اتصرف ازاي وقولت لأبوها.

جوزها بص عليها وهو مذهول, إزاي مراتي تروح مكان من غير ما تقولي!

يمكن بالنسباله دي مصيبة في حجم مصيبة بنته لو كانت غلطت مع حد وبقت حامل.

هز راسها وهو باصص عليها فيما معناه حسابنا بعدين, وعلى الرغم من غضبه إلا إنه بمجرد ما بص عليا حسيت بارتياح في وشه, وسألني الحل إيه؟

قولتله الحل بسيط بس هياخد فترة, بنتك حامل في جن ودا نادر لما يحصل وفي الغالب بينزل لوحده وبيكون ميت, بتظهر عليها أعراض الولادة ودم وكل حاجه لكن مفيش حاجه بتنزل, وقولتله على بعض الأعشاب يجيبهم ويصحنهم مع بعض وتشرب بنته منه كل يوم على الريق لحد ما تحس باللي في بطنها نزل.

كنت شايف سؤال في عنيه عايز يسأله ومتردد, فكملت كلامي وقولت اللي حصل دا مش هيأثر على غشاء البكارة بتاعتها وهتفضل بنت بنوت زي ما هي.

مع الجملة الأخيرة ملامح وشه ارتاحت على الآخر وكان شويه وهيبتسم لكن بسبب الوضع اللي هو فيه مكانش ينفع.

وفي الآخر شكروني وخرجوا من عندي وأبوها بيقول دقايق وراجعلك, ورجع بعد دقايق فعلا وفي إيده رزمة فلوس حطها في جيبي وقالي والله ماهي راجعه وسابني ومشي, وقتها مكنتش مركز معاه كنت مركز مع دشام اللي بيقولي هنعمل إيه في الجن العاشق اللي آزور مثبته من الصبح؟

مسكت الفلوس وبصيت فيها يمين وشمال كان مبلغ كبير بالآلاف وقولتله بلا مبالاة, اتخلصوا منه.

معظم زباينى بيكونوا ستات زي ما كتبتلكوا عنهم, لكن دي أول مرة ييجي ولد, هو مجاش بمعنى الكلمة يعني, أنا اللي روحتله.

في يوم بعد ما خلصت الحالات اللي جاتلي لقيت عم جابر على غير العادة وهو بيسألني سؤاله المعتاد إذا كنت عايز حاجه ولالا قبل ما يمشي, المرة دي بعد ما قالها لقيته وقف شويه زي ما يكون عايز يقول حاجه ومكسوف أو متردد, كان باين عليه وهو بيفرك إيده في بعضها وباصص في الأرض, سألته فيه حاجه يا عم جابر! محتاج حاجه؟

قالي بصراحة يابني .. قرّب منّي قعد قدامي وقال.. ابن اختي له كام يوم مش على بعضه, حالته متغيرة وأختي بتقول إنه في ليلة رجع البيت ومعاه واحد صاحبه بيوصله لحد الباب وحالة ابنها مش اللي هي, أول مرة حد يوصله البيت! ولما فتحتلهم صاحب ابنها قالها أي كلام مفهمتش منه ولا كلمة غير جملة "بيت أبو الغايب" وساب ابنها وجري, والواد من وقتها بيحضر ويغيب, يبص في السقف ويكلم ناس محدش شايفهم غيره, وساعات يكونوا قاعدين وفجأة يقوم ويرجع بضهره لورا بسرعة كإن فيه حد قدامه خايف منه وعمال يترجاه ميعملوش حاجه ويبدأ يبكي وعينه تبص في السقف من تاني ويخبط راسه لورا في الحيط.

اختي بعتتلي وقالتلي اسم الواد اللي جاب ولدها ورحت لأبوه البيت ونادى الواد ومع قلمين من أبوه عرفنا منه كل حاجه, سالم ابن اختي عيل شقي عنده حوالي 15 سنة, كان قاعد هو واتنين صحابه -منهم الواد اللي وصله البيت- مش لاقيين حاجه يعملوها قعدوا يتكلموا عن العفاريت وفي وسط الكلام جابوا سيرة بيت أبو الغايب, ابن اختي عيل "فطّاط" قال أيه يعني بيت أبو الغايب اللي الناس خايفين منه, أنا بعدي قدامه كذا مرة وأنا رايح الزرع ومبشوفش حاجه, صحابه قالوله بتعدي قدامه في الصبح بس وبترجع قبل المغرب يعني أوقات عادي مفيهاش حاجه, تقدر تدخله بعد العشا؟

قالهم أيوه أقدر, فيها إيه يعني! واحد من الاتنين قاله لو دخلت بعد العشا بساعة وطلعت من الباب اللي من ورا هديك خمسين جنية.

ابن اختي قاله اديهم لصاحبهم التالت عشان مش ضامن صاحب اللي عمل معاه الرهان دا, وقد كان! اتفقوا في نفس اليوم يتجمعوا بالليل بعد العشا قدام بيت أبو الغايب وابن اختي يدخل ويطلع من الباب التاني, ولما راحوا هناك..

قاطعت كلام عم جابر وقولتله هو بيت أبو حامد دا فيه إيه؟

بصراحة كلامه عن البيت وتفخيم صوته في كلمة ابو الغايب وبحلقة عيونه حسسني إنه بيت النائب أو العمده اللي معاه ألف فدان.

خد راحته في القعده وقال:

بيت أبو الغايب آخر البلد قبل الترعة ما تلف وتدخل الغيطان, بيت كبير مبني بالطوب اللبن, حيطانه تخينه ومبنية بمعلمين البناء وقتها, تستحمل فوقها خمس أدوار من الخرسانة ولا تتهزش أو توقع منها حبة تراب, بابه خشب تقيل عايز جماعة عشان يشيلوه, البيت مقفول من أكتر من أربعين سنة.

ولا حد في البلد بيعدي من جمبه بعد المغرب, حتى الكلاب كان تلف من بعيد.

أبو حامد كان راجل تقيل في زمانه, أرضه واسعة, وبيته دايما عامر, وفي ليلة من ليالي الصيف حصلت حاجه ملهاش تفسير.

جيرانه قالوا إنهم سمعوا صوت صريخ من جوه البيت

منهم اللي قال سمعت صوت حد بيجري فوق السطح

واللي قال حاجات تانية كتير لكن كل اللي سمع اتفقوا على حاجه إنهم فجأة الصوت اللي سمعوه اختفى فجأة زي ما ظهر فجأة.

الصبح لما الحال فضل كما هو عليه ومشافوش حامد أو حد من عياله الناس دخلوا البيت يطمنوا ويشوفوا إيه اللي حصل!

مرات حامد كانت واقفة في الركن مبتتكلمش.

العيال اختفوا

الغايب نفسه كان قاعد وسط البيت عينه مفتوحة .. وميت.

الغريب إن مفيش نقطة دم ومفيش كسر ولا أثر لعركة مثلا أو خناقة.

ومن اليوم دا البيت اتقفل ومرات ابو الغايب ناس ولاد حلال ودوها بلدها عند أهلها وسمعنا بعدها بأسابيع إنها ماتت, البيت فضل على الحال دا ومحدش دخل سكن فيه تاني.

أهل البلد جابوا ناس عشان ترصد الجن اللي فيه لكن الموضوع فشل ومحدش عارف حصل إيه مع الشيوخ اللي جو لإن الحكاية دي من زمان يعني ليها عمر.

سألت عم جابر وقولتله طب ليه الناس قالوا إن العفاريت سكنت البيت؟

قالي عشان بعد الحادث بأسابيع حاجات غريبة بدأت تحصل:

نور يطلع من الشباك بالليل والبيت مفيهوش كهربا

في ليالي معينة البيت يتفتح لوحده وقت الفجر ويرجع يتقفل لوحده تاني, ناس كتير شافوا كدا وحلفوا بكل الأيمانات

واحد قال برضو إنه كان راجع من الغيط متأخر وراكب الحماره ولما عدا تحت البيت لقي طوبة اترمت عليه وقعت جمب الحمار واتفتت لحتت, ولما بص فوق لقى واحدة عجوزة شعرها أبيض باصه من الشباك وبتزعق فيه بدون سبب.

كلامه عن البيت شدّني جدا واتشجعت إن أشوف البيت دا ولو قدرت أدخله هدخله, قولتله يلا بينا نشوف ابن اختك.

قالي ماهو بصراحة, وبدأ يفرك إيده في بعضها تاني وبان عليه الإحراج, سألته أيه ياعم جابر فيه إيه؟

قالي الحالة بتاعتهم على القد واختي قالتلي كذا مرة إنك تيجي تشوف ولدها حتى لما تكون فاضي مش شرط وقت مشغولياتك, وأنا في كل مرة أقولها حاضر هجيبه وتاني يوم اتحجج انك كنت مشغول وإني قولتلك وانت قولت بعدين, والنهاردا لما لقيت الناس خلصت والوقت بدري قررت أحكيلك.

ابتسمت وقولتله برضو كدا ياعم جابر, أنا زي ابنك وحاجه زي كدا هعملها بدون مقابل, ياريتك قولتلي من أول يوم.

وفي نفسي بقول ياريتني عرفت الحكاية دي من بدري عشان زهقت من الحالات المكررة اللي بتجيلي, اللي مش بتتجوز وفاكره إن حالها واقف, اللي معمولها عمل وجوزها شايفها معزه, وأنا زهقت عايز اشوف مغامرة جديدة..

كان في بالي آخد عم جابر ونروح البيت المسكون, لكن مكانش ينفع عشان حاجتين, أولهم مراعاة لشعوره بعد ما يظهر عليا الاهتمام ببيت أبو الغايب أكتر من حالة ابن اخته, وثانينا عشان او ابنه اخته ممسوس بالجن فعلا فممكن من خلاله أعرف معلومات وأسرار أكتر تعرفني بالجن اللي عايشين في بيت أبو العفي دا لو مكانتش القصة كلها عبارة عن تهيؤات وأساطير قرى وحواديت مصاطب.

طلعنا الشارع والدنيا ليل وكان العشا أذن من أكتر من ساعة, وخلال طريقنا سألت عم جابر ها وبعدين مكملتليش اللي حصل.

عم جابر مكانش فاهم الأول بعدين قال بسرعة أيوه أيوه نسيت, ابن اختي واصحابه الصيع الاتنين راحوا قدام البيت وابن اختي مدخلش غير لما شاف الخمسين جنية في إيد صاحبه اللي حلفله إنه لو دخل وطلع من الباب اللي ورا هيديله الفلوس ومش هيرجعها لصاحبها.

وقف قدام الباب الخشب الكبير وزقّه بإيده, الباب اتفتح معاه بسهولة كإنه مستنيه أو مستني حد من زمان يعمل كدا, الواد دخل والاتنين فضلوا مستنيين بره.

فاتوا دقيقتين, تلاتة, عشرة, مفيش لا حس ولا خبر.

الواد صاحب الرهان خاف وقال أفلت بجلدي ومش مهم الخمسين جنية, والواد التاني اللي ماسك الفلوس فضل قاعد مش عارف يعمل إيه ولا يتصرف إزاي!

كان بيفكر يروح ينادي حد كبير عشان هو اللي يتصرّف لكن كان خايف احسن ابن اختي يطلع في أي لحظة وبكدا الناس تعرف اللي عملوه وياخدوا العلقة التمام.

جاتله فكره إنه ينادي على ابن اختي بصوت واطي عشان محدش يسمعه, وبالفعل راح ينادي عليه وهو بيتحرك قدام واجهة البيت وهو بيتمشى رايح جاي, مرة يخلي وشه ناحية الدور الأرضي وينادي, ومرة يرفع وشه للدور التاني وينادي لكن بدون فايدة.

وقف لحظات وقرر إن الموضوع بقى مخيف ولازم ينادي على حد كبير يتصرف ويلحق صاحبه, وفي اللحظة دي وفجأة اتفتح الباب بسرعة وخرج منه ابن اختي وهو بيجري وباصص للأرض وبيقول كويس إنك ناديتي علي..كويس إنك ناديت علي.

الواد حاول يعرف حصل إيه لكن بدون فايده, كل ما يسأل ابن اختي عن اللي حصل جوه أو عن اللي شافه كان بيقوله الجملة دي, وأحيانا كان يقولها لوحده بدون ما يسأله.

جسمه كان بيتنفض وعينه بتتحرك شمال ويمين, والواد جابه لأمه في الآخر وهرب من غير ما يقول اللي حصل.

وأنا بسمع لعم جابر افتكرت فجأة إني خرجت من البيت بدون ما آخد حذري من اللي ممكن يقابلني في الشارع, خصوصا إن ليا عداوات مع الجن نشأت خلال الفترة اللي فاتت وممكن أي حد من قبائلهم يإذيني أو توصل لقتلي!

بصيت على يمين وهمست لدشام وسألته "أمان؟"

مسمعتش رده, الشك بدأ يدخل عقلي ليكون حصله حاجه أو ممكن كل اللي حصل دا يكون من ألاعيب الجن, وكل دا عبارة عن خدعة عشان أطلع من البيت والأوضة بتاعتي اللي محصنها, لكن بعد ثواني سمعت صوت شدام وهو بيرد عليا "أمان"

اتنفست بصوت مسموع وبعدها عقلي بدأ يحلل اللي قاله عم جابر واحتمال يكون إيه؟

كان أقرب احتمال إن أبو الغايب استخدم طلسم أو تعويذة أقوى منه, سواء كان عارف بأمور الجن أو لا, اختفاء أطفاله وقتله بالسرعة والطريقة دي ملهمش غير تفسير واحد, إنه حضّر جن قوي بدون ما يعرف قوته الحقيقية بدون ما يربطه بطلسم يناسبه ويسخرّه لخدمته, والجن انتقم منه بالطريقة دي بعد ما لقاه ضعيف.

وفي وسط الأفكار سمعت عن جابر بيقولي اتفضل, قالها وهو بيشاور على بيت ميختلفش كتير عن البيوت اللي عدينا عليها بس يمكن البيت دا كان واضح عليه الفقر شويه.

خبط على الباب وفتحه في نفس الوقت وهو بيقول يا إبراهيم, مولانا جي.

مكانش بيستخدم مولانا غير قدام الناس, ولما بنكون لوحدنا بيقولي يابني وأنا اللي طلبت منه كدا.

أول ما حطيت رجلي جوه البيت سمعت صرخة إبراهيم, وفي اللحظة دي اتأكدت إنه ممسوس من الجن فعلا ودخولي البيت هز الجن اللي معاه.

اتمشيت أنا وهو ودخلت أوضة قديمة وشوفت إبراهيم وأبوه جمبه ماسكه بأسى وحزن وعمّال يهديه وحاطط إيده على راسه وبيتمتم ببعض آيات القرآن وأبنه يصرخ وبمجرد ما دخلت الأوضة الواد عينه بحلقت فيا كإني أنا العفريت واستخبى في أبوه وهو بيشاور عليا وبيقول كلام مش مفهوم لكل اللي قاعدين لكن أنا كنت فاهمه.

دشام كان بيترجملي اللي بيتقال, الجن كان بيتكلم على لسانه وهو بيهدد لو قربتوا مني هأذيه وهيموت, طبعا كان كذاب عشان مش أي جن يقدر يعمل كدا لكن أنا خدت تهديده على محمل الجد وخليت دشام يتكلم معاه ويخليه يسيبه عشان هو كمان ميتإذيش.

بدأ الصراخ يعلا والأجواء تتوتر أكتر وهو رافض, آزور اقترح إننا نضرب إبراهيم والجن اللي معاه لكن مكنتش بحب الطرق دي في العلاج, مبحبش العنف والأذى الجسدي نهائي.

افتكرت طلسم قديم اقدر من خلاله أسيطر على الجن ومن بعدها اطلعه منه بعد ما ياخد أمر مني.

بدأت أقول الطلسم لكن في النص دشام همسلي إنه هيطلع ومعاه روح إبراهيم والواد هيموت في إيدي, بصيت على إبراهيم لقيته بيفقد الوعي بالتدريج مع كل كلمة بنطقها, وقفت قراءة وقعدت مش عارف اتصرف إزاي, الحالة كانت صعبة جدا وأول مرة تعدي عليا.

فكرت فكرت, وفي وسط التفكير قولت لعم جابر تعالا معايا بره بسرعة, وقولت لأبو إبراهيم هناجيلك تاني.

قولت لعم جابر ياخدني لبيت أبو الغايب, مصدقش طلبي وقالي بخوف في الساعة دي عايز تروح!

قولتله آه ودِيني هناك وخليك انت بره, هز كتفه في عدم اقتناع لكن مكانش قدامه غير إنه ياخدني يعرفني مكان البيت.

وصلت وكان فعلا بنفس الأوصاف اللي قالوا عليها, بيت ضخم كإنه وحش قاعد وسط الضلمة مستني حد يدنّس سكونه عشان يإذيه بالطريقة اللي يستحقها.

اتمشيت ناحية البيت وسألت دشام إيه اللي جوه, رد عليا وقالي كتير لكنهم من قبيلة واحدة, سألته تاني وقولت "أمان؟" رد عليا بعد ثواني من التفكير وقال "ممكن."

دخلت البيت بدون أي إضاءة واتمشيت بهدوء لحد ما حسيت إني في منتصفه بالظبط, قعدت على الأرض وطلّعت شمعة من جيبي كنت جايبها عشان عارف إني هدخل البيت في أي لحظة ولازم اتواصل مع اللي فيه لو كان مسكون فعلا, ودلوقتي بعد ما اتأكدت فهحاول اتواصل معاهم.

ولعت الشمعة وثبتها في الأرض وأنا باصص عليها ومركز جدا بدون ما عيني ترمش.

بعد ثواني خرج كيان من باب من الأبواب المفتوحة حواليا

مشى ناحيتي ببطء

ضوء الشمعة اتراقص وأنا لسه باصص عليها

شوفته نص السفلي وقف قدام والشمعة بيني وبينه

طفى الشمعة وقعد.. واتكلمنا.

خرجت من البيت وأول ما عم جابر شافني جري عليا كإنه مكانش مصدّق إني هطلع تاني.

قولتله يروح يجيب إبراهيم دلوقتي حالا وبدون ما يناقشني كتير وقد كان

قعدت دقايق أفكر في اللي حصل بعد ما عرفت اللي بس عايزيني أعرفه.

إبراهيم لما دخل كان المفروض يموت, لكن واحد من أفراد القبيلة هرب عن طريق جسد إبراهيم, كانت الفرصة الوحيدة اللي يقدر يهرب بيها.

والجن اللي اتكلمت معاه جوه البيت مش ناوي يخرج منه, ولأنهم من قبيلة قوية مكانش ينفع أقحم شدام وآزور في معركة ممكن افقد واحد فيها واحد منهم, اتفقت مع الجن اجبلهم الهارب منهم وبكدا إبراهيم يرجع لطبيعته.

بعد دقايق جي عم جابر هو وأبو إبراهيم وهما ماسكينه بين إديهم وبيحركوه بالعافية ووقفوا قدامي مش عارفين يعملوا إيه بعدين, قولتلهم هاتوه وتعالوا ورايا ومشيت ناحية البيت وهما كل خطوة يسألوني فيه إيه؟ هتعمل إيه؟ وأنا أقولهم اسمعوا كلامي وعلاج إبراهيم هيتم الليلة, مكانش قدامهم غير إنهم يصدقوني, إبراهيم في اللحظة دي كل ما يقرب من البيت كانت رجله تفرك في الأرض ومش عايز يتقدم, اللي بيعمل كدا كان الجن لإنه مينفعش يقرب من البيت تاني عشان عارف اللي هيحصل لو إبراهيم دخل, في اللحظة دي كان ناوي يسيب جسد إبراهيم ويهرب لكنه معرفش لإني في اللحظة اللي شوفتهم جايبين فيها إبراهيم قرأت عليه طلسم خلاه يتكتّف جوه جسمه وميعرفش يخرج منه.

وقفت قدام الباب اللي سبته مفتوح والتلاتة واقفين ورايا

رجعت ورا ابراهيم حطيت إيدي على ضهره وقولتلهم سيبوه, وفي اللحظه اللي شالوا إيدهم من عليه زقيته جوه البيت وقفلت الباب وسط نظراتهم اللي مش مقتنعة باللي عملته لكن ما باليد حيلة.

استنينا دقايق وكل دقيقة تعدي أبوه يسألني وبعدين يا مولانا, كررها كذا مرة لحد ما الخبر جاني, فتحت الباب ودخلت وخرجت وأنا بحاول اشيل ابراهيم, كنت شايل نصه والنص التاني بجرّه في الأرض ولما شافوني جريوا عليا وخدوه مني وكل واحد راح مكانه.

نصيحة:

لو كنت هتدخل الحمام وفجأة حسيت بالخوف, بلاش تدخل.

هتصدقوني لو قولتلكوا إن فيه ناس بتحضر محاضر الجن بدون ما يعرفوا, ويفتكروا الموضوع مجرد كوابيس!

فيه ناس منكم ممكن ميعرفوش إن الجن بيعملوا محاكمات زي ما بنعمل عندنا بالظبط, وفيه أحكام بالحبس والقصاص وقوانينهم فيها شبه كبير من القوانين بتاعتنا.

في يوم كنت قاعد وحسيت بطاقة مش عادية بتقرّب من المكان, الصراحة قلقت شوية لإن العالم اللي أنا بتعامل معاهم متقلّبين وكلهم أعداء بعض وبتحكمهم المصالح والعلاقات أكتر من زميلك العصفورة في الشغل وعلاقته بالمدير.

بعد ثواني سمعت دشام وهو بيقولي فيه معالج زيك جاي ومعاه حالة, اطمنت شويه إن الموضوع مفيهوش خطر عليا لكن في نفس الوقت رحت افكر في الحالة اللي عجز عنها معالج وجايبهالي بنفسه.

بعد دقايق سمعت عم جابر بيخبط الباب ويفتحه وهو بيقولي فيه ناس مش من البلد جايين وعايزين يقابلوك, هزيت راسي كالعادة يعني خليهم يدخلوا.

دخلوا تلاته مع بعض حالتهم طبيعية جدا مفيهاش حاجه ما عدا واحد كان باين عليه التعب والإرهاق, زي ما يكون عايز ينام واضطر ييجي عندي.

باب غرفتي فضل مفتوح وواحد واقف عليه بره, باصص عليا وبيتفحصني بنظرات غير مريحة, بصتله بقوة اللي هو أيوه مش هتعرف تدخل ومعاك خدمتك وبعد ثواني دخل وقعد جمبهم.

واحد منهم اتكلم وشاور على الشخص اللي باين عليه الإرهاق وقال عصام أخويا له كم يوم مبينامش, أو بيقول إنه مبيناش مع إننا كلنا بنشوفه بينام ويمكن أكتر مننا, لكن في كل مرة بيصحى بيكون زي ما انت شايف.

سألته من امتي بيحصله كدا؟ راح عصام هو اللي رد وقال بصوت ضعيف من أسبوع ونص, وسكت شوية وقال بشوف كوابيس غريبة كلها في مكان واحد, كل يوم نفس المكان بشوفه بمواقف مختلفة.

سألته عن الليلة اللي شاف فيها الكابوس دا أول مرة يحكيلي كل اللي حصل معاه خلال النهار من أول ما صحي لحد ما نام.

اتنفس بضعف كإنه الكلام بياخد من طاقته وقال:

صحيت من النوم قبل العصر زي كل يوم, اتغديت وقعدت مع الأولاد والمدام شويه لحد ما المغرب أذّن وبعدين قمت لبست عشان اروح الشغل, أنا شغال حارس أمن في مصنع في الفترة المسائية, ركبت المواصلات عادي ورحت مكان شغلي عادي واستلمت من زميلي اللي قبلي وكل حاجه كانت عادي زي كل يوم محصلش فيها جديد.

سكت عن الكلام فيما معناه انه خلاص انتهى, بصتله عشان يكمل لكن كان واضح انه انتهى فعلا.

بصيت على المعالج اللي جي معاهم, بصه معناها إني مفهمتش حاجه ولا فين المشكلة, سكت شويه وهو باصص عليا بأسلوب مش فاهمه وأخيرا قال إن عصام حكى له إنه في الليل حوالي الساعة 2 كان بيتمشى حوالين المصنع لإنه كل ساعة أو اكتر بيقوم يلف لفة ويرجع على كرسيه تاني, وخلال ماهو بيلف سمع صوت زي اتنين بيتخانقوا أو بيصرخوا على بعض,

الصوت مكانش واضح إذا كان جاي من بشر ولا حيوانات, بدأ يسمع ويتتبع المكان اللي جاي منه الصوت لحد ما شاف نفسه قريب من المخازن والصوت جاي منها, الباب مقفول والصوت بقى واضح جدا وللأسف راح فتح الباب وشاف حاجه أفقدته الوعي وتاني يوم عمال المصنع رجعوه البيت وفضل على الحالة دي.

سألت المعالج وقولتله طب وهو مش فاكر اللي حصل دا؟

قالي لا هو أحيانا يفتكر وأحيانا لا, ذاكرته فيها شئ غريب معرفوش, ولا اللي معايا عارفين يعرفوه.

قبل ما اشيل عيني من عليه سألته انتوا شكلكوا غريب عن البلد, عرفتوني إزاي؟

قالي أنا خلّيت الجماعة يدوروا عن واحد قريب مني يمكن نلاقي عنده حل ولما وصلولك انت واللي معاك عرفوني باسم القرية وجبت الحالة وجيت يمكن تعرف تساعدني فيها مع إن شكلك لسه جديد في الطريق لكن لما وقفت على الباب عرفت إنك تقيل.

حسيت بالإطراء بعد جملته الأخيرة وهزيت راسي مرتين تلاته بعد ما بدأت اتقبل وجوده معانا ونسيت نظراته اللي قبل كدا, وبدأت اتواصل مع شادم.

"آزور" ظهر ورايا وقرب ناحية ودني وهو بيقولي "شادم" مش هيفيدك, أنا عارف إيه اللي حصل مع المسكين دا.

وبدأ يحكيلي إن عصام لما فتح باب المخزن شاف حاجه المفروض ميشوفهاش ولا يكون شاهد عليه, شاف واحد من الجن بيقتل واحد تاني من نفس القبيلة وبكدا هو أصبح شاهد بدون ما يعرف, وكل ليلة بيستدعوه للمحاكمة وهو مبيفتكرش اللي حصل.

سألته وليه الجن لما يقتل جن بيظهر ويخلّي الناس تشوفه!

قال المكان مربوط بعهد قديم وفيه بوابة مش كاملة الإغلاق ووقتها كان بعد نص الليل والدم خلاص اتسفك, في اللحظة دي الجن ما بيختاروش الظهور, الظهور بيحصل غصب عنهم زي البرق كدا يظهر ويختفي لمدة ثانية, كيانين ضبابيين واحد واقع والتاني واقف فوقه وبيقتله الثانية دي كانت كفيلة تخليه شاهد.

بعدين كمل وقال, الجريمة كانت خلاص في مرحلة الإنهاء يعني الجني القاتل كان مربوط بالفعل ميقدرش يسيب المقتول في النص وإلا المقتول هيبلغ عنه, الجن اضطر يكمل لآخر لحظة وعصام شاف كل حاجه.

الموضوع دخل دماغي جدا واتشديت للقصة اللي بتتحكي قدامي, حاجه غريبة زي ماهو العالم دا غريب, سألت آزور بعد ما جي السؤال بسرعة في بالي وقولتله طب إزاي الجن عرف إنه في شاهد من الإنس؟

قالي وقت ما عصام فتح باب المخزن وحصل تقاطع نظر ولو لثانية بين عصام والمقتول, عصام اتوسم. أي إنسي بيشوف فعل القتل في عالم الجن بيتوسم.

قولتله برضو مفهمتش إزاي باقي الجن عرف بالمكان اللي اتقتل فيه الجن اللي منهم؟

طبعا كل الكلام دا بيحصل وأنا بهمس في إيدي بصوت واطي والناس فاكراني بقرا تعويذة أو بحضّر جن, مع إن آزور دايما حاضر معايا بس دي الطريقة الوحيدة اللي اعرف بيها اللي حصل.

جاوبني وقال دم الجن مش بينشف بسهولة, بيسيب أثر في المكان وأكيد لما اختفى واحد من القبيلة بدون سبب بحثوا عنه لحد ما وصلوا لدمّه, ومع بحث بسيط هيعرفوا مين اللي كان موجود في المكان وبعدين يشوفوا مين فيه موسوم, والموسوم هو عصام وعشان تفهم معنى

الكلمة أكتر, الدم لما اتسفك حس بوجود إنسي فاتعلق بيه زي الريحة كدا ومن ساعتها عصام بقى حامل لأثر الدم من غير ما يعرف وبكدا عرفوه.

الجن بيخطفوا روح عصام بعد ما ينام وياخدوه للشهادة في محكمة الجن اللي كان حاضر فيها القاتل زيه زي أي حد, عشان كدا عصام كان كل ما ينام مش بيشبع من النوم ولحد ما جالي كان مرهق, هينام بس لما القضية تتحل بعد ما يتعرّف على القاتل ويشهد عليه.

القاتل كان من النوع القوي, اللي بيقدر يسيطر على عصام بعد ما روحه ترجع لجسمه خلال ساعات يومه بالنهار, بيحاول يشوّش عقله, بيخليه ينسى أكتر ويتوه أكتر, وكل ليلة ياخدوا فيها روح عصان ويحاولوا معاه بكل الطرق اللي بتوصل للتعذيب أحيانا عشان يصدموا عقلوا ويخلوه يفتكر, لكن بدون فايدة.

القاتل كمان كان بيعمل شوية مواقف يخلّوا عصام يشك في سلامة قواه العقلية مش هو بس لا وكمان الناس اللي حواليه, يعني مثلا في يوم أخوه كان رايح بيه للدكتور والكلام دا كان في الأيام الأولى للحادث, الوقت ليل وهو وأخوه ماشيين في الشارع وعصام كالعادة باصص في الأرض, وفجأة شاف الظل بتاعه بعد ما كان ماشي هو وظل أخوه جمب بعض بقى أسرع من ظل أخوه وسابهم وسبقهم بخطوات لقدام لحد ما سبقهم بمسافة كبيرة.

عصام وقف مكانه بيحاول يفهم اللي حصل, وقتها هو كان تعبان بس لمجرد قلة النوم, عقله كان سليم مش زي حالة عقله في اليوم اللي جالي فيه.

وقف وبص في الأرض على الظل بتاعه, أخوه وقف زيه وسأله فيه إيه ليه وقفت؟

قاله الظل بتاعي سبقنا ومشي! قالها وهو مش مصدّق

أخوه في اللحظة دي بصله واتأكد إنهم رايحين للدكتور المناسب, الدكتور النفسي, بعد ما كان مش مقتنع في البداية إنه ياخد أخوه لدكتور زي دا.

أخوه قاله الظل بتاعك جمبك أهو متحركش.

عصام بص حواليه وفعلا مكانش شايف ظله, في الآخر أخوه حاول يقنعه إنهم يتحركوا عشان يوصلوا للدكتور في الميعاد, وفعلا عصام اتحرّك وهو مش مقتنع إن الظل بتاعه مش موجود وبيبص يمين وشمال طول ماهو ماشي.

بعد دقيقة من المشي وفجأة عصام شاف الظل بتاعه بيجري من بعيد بيجري ناحيته وبيهجم عليه.

يعني تخيل تكون ماشي وتشوف إنسان جاي من بعيد بيجري ناحيتك, أكيد هتخاف وجسمك يفرز الهرمونات اللي هتساعده إنه يتحفز ويقلق ويمكن يخاف, فما بالك إن اللي بيجري ناحيتك دا عبارة عن ظل لازق في الأرض!

هتواجه إزاي أو هتتصرف معاه بأي طريقة؟

دا كان إحساس عصام وقتها اللي ساب أخوه وجري في الشارع وهو بيصرخ في الناس ويقولهم الحقوني, وأخوه يجري وراه عشان يمسكه ويمنع الفضايح, الناس تحاول تعطّل أخوه لظنهم إن عصام بيطلب منهم يلحقوه من الراجل اللي بيجري وراه وبعد نص ساعة من اللخبطة ومحاولة شرح الموقف وكل واحد يمسك أخو عصام ويحاول يعطله أخيرا قدر يمسكه بمساعدة اتنين من اللي صدّقوه, خصوصا بعد ما مسكوا عصام وسألوه بتجري من إيه وقالهم فيه ظل على الأرض بيجري ورايا.

وقتها أخو عصام اتأكد إن اللي بيعمله أخوه دا مش تصرفات عاقلين ولازم يلحقه قبل ما يفوت الأوان.

كمان من المواقف التانية اللي كان القاتل بيلعب بيها على عقل عصام ويشككه في نفسه هو الوهم البصري اللي بيخليه يعيش فيه لمدة ساعتين كل يوم.

أوقات عصام يكون قاعد على السرير عادي بيفكر في اللي بيحصل معاه إذا كان حقيقي ولا هو فعلا اتجنن, وفجأة يلاقي نفسه قاعد على صخرة عالية شوية عن الأرض وفي وسط

صحرا واسعة ولابس ملابس قديمة جدا زي اللي كان بيشوف الناس بيلبسوها في الأفلام القديمة الأبيض والأسود, ويحس إن جيبه تقيل فيحط إيده يلاقي حاجه تقيلة يطلعها فيلاقيها تراب أسود, لكن لما يركز يلاقيه نمل! نوع من أنواع النمل صغير جدا ووزنه تقيل مقارنة بالنمل بتاعنا اللي ملوش وزن. عصام يتخض ويروح نافض إيده لقدام ويتخلص من النمل وفي اللحظة دي يحس بشئ بيتحرك في جيبه التاني ولما يحط إيده ويطلعها يلاقي عقرب أسود شكله مخيف جدا وقريب من حجم كف إيده, يروح بسرعة نافض إيده وقبل ما يتخلص من العقرب تروح لادغاه ويحس بخدر ماشي من المكان اللي لدغته فيه العقرب لحد باقي جسمه.

وبعدها كل حاجه قدامه تبدأ تتمايل زي موج البحر ويبدأ يتلون باللون الأسود لحد ما جسمه بالكامل يتغطى بالسواد, ومش جسمه بس لا, السواد يسري في الصخرة اللي قاعد عليها وبعدين يمتد لكل الصحرا لحد ما يغطيها كلها في لحظات.

سواد عظيم بيتحرك لفوق ولتحت بشكل بطيء, ويظهر في مجال رؤيته ناس ماشي من بعيد جايين ناحيته, ماشيين في خط مستقيم ولما يقربوا من مجال الرؤية يعرف إنهم قافلة بتعبر الصحرا.

يحاول ينادي عليهم عشان ينقذوه من اللي هو فيه لكن مش قادر ولما يقربوا منه وملامحهم تظهر أكتر يكتشف إنهم مش بشر, كائنات ومخلوقات غريبة ماشيين ورا بعض بدون سبب ولا هدف وملامحهم ثابتة مفيهاش أي تعابير!

طبعا أنا مش مضطر أوضح أنا عرفت الحاجات دي كلها إزاي, أنا كفاية عليا إني بحكيلكوا قصص من عالم ناس كتير منكم وعايشين حواليكم مش مؤمنين بوجوده أصلا.

نرجع لحكايتنا ...

طلبت منهم أقعد مع عصام شوية لوحدنا, الكل يخرج ويقعد هو بس لإن الكل اللي هقولهممكن لو سمعوه يفتكروني مجنون أكتر منه.

مهمتي كانت إني أحاول أثبّت عقل عصام وأرجعه لطبيعته من جهة, ومن جهة تانية أمنع القاتل من السيطرة عليه والتلاعب بيه, وكان مستحيل طبعا أعمل كدا دايما لكن أقدر من خلال طلسم قالي عنه "آزور" وعلمهوني إني أخلّي عقله ثابت لعدد ساعات معينة ما بين نص يوم ليوم كامل, ولو حظه حلو فالجن هياخدوا روحه بعد ما ينام ويكون بكامل عقله خلال المحكمة.

قعدت أنا وعصام وبدأت اقرا عليه الطلسم وأحكيله كل اللي حصل معاه وهيحصل, الطلسم كان بيشتغل بالتدريج وبالتدريج عصام كان بيفهمني لحد ما وضحتله الصورة بالكامل, وقولتله إنه علاجه في إيده, الجن مش هيزهقوا منه وممكن المحاكمة تطول لـ100 سنة عادي.

وقولتله لو اتوفقت ابقي تعالالي تاني لوحدك واحكيلي اللي حصل معاك, كان عندي فضول أعرف حصل معاه إيه عشان كل قبيلة من الجن ليها طقوسها وعاداتها وتقاليدها اللي بتختلف عن القبيلة التانية.

في نفس الليلة اللي عصام رجع فيها من عندي وكالعادة بعد النوم الجن أخدوا روحه للشهادة, ولأول مرة القاضي يشوف عصام ثابت وقاعد هادي ومركز جدا كإنه بيحضر جلسة محاكمة بين البشر.

بدأ يختبره ويسأله عن الليلة اللي حصلت فيها جريمة القتل, شاف القتيل ازاي وشاف إيه بالظبط؟

عصام بدأ يحكي وهو في كامل قواه العقلية عن اللي حصل في الليلة دي بالظبط من وقت استلامه الشغل لحد لحظة الإغماء, كان ثابت جدا وهادي جدا جدا ودا اللي خلى القاضي يقول

فورا بعد ما عصام أنهي كلامه " اجمعوا العشيرة بالكامل, رجال ونساء, مسخرين وعاطلين, أخيار وأشرار"

دم القتيل اللي عصام موسوم بيه بمجرد اقتراب القاتل من عصام هيحس بيه والدم يتفاعل على جسمه ويسببله طنين في الأذن وبعض الآلام في الجسم وبيظهر تأثيرها على حسب كل جسم وقوته, القاضي أمر كل القبيلة يصطفوا صف واحد ويمروا أمام عصام عشان الدم يتعرّف على القاتل.

القاضي كان رافض ياخد الإجراء دا مع إن مستشاريه اقترحوه من البداية أكتر من مرة لكن بسبب حالة عصام العقلية كان القاضي خايف من احتمالية انه يختار حد برئ وينفذوا عليه القصاص.

آخر حاجة عصام فاكرها إنه مر من أمامه جن وبمجرد التقاء العيون عصام حس بألم شديد في جسمه خلاه يركع على الأرض من شدته وهو ماسك دماغه وبعدها صحي من النوم وهو تعبان جدا أكتر من أي مرة صحي تعبان فيها لكنه ابتسم بعد دقايق بعد ما افتكر إنها آخر مرة هيروح فيها محاكمة للجن.

ستات كتير بتروح لدجالين وسحرة بدون ما يعرفوا عواقب اللي بيعملوه دا, زي ما يكونوا مغيبين وميعرفوش إن اللي بيحملوه دا من الكبائر سواء الاستعانة بالسحرة والدجالين أو أذى الناس اللي هما في الأصل قرايبهم أو أصدقائهم أو حتى أكلوا مع بعض عيش وملح وساكنين في بيت واحد.

واحدة من الستات دي جات عندي وهي مكسورة وأنا كنت آخر حل لجأتله قبل ما تبيع نفسها بالكامل, قعدت قدامي وكان باين عليها إنها لسه صغيرة على الأعمال والحاجات اللي حابه تدخل فيها, سنها 34 سنة وعايشه في بيت عائلة مع أخوات جوزها وستاتهم.

قعدت قدامي مكسورة مش عارفه تحكي أو تبدأ منين, مش عارفة تشتكي من سحر "التسليط" اللي معمول لها ولا تشتكي من أفعال الساحر اللي راحتله وبقت لعبة في إيده, استعجالها وقلة دينها وجمالها كانوا من الأسباب الرئيسية للمشاكل اللي كانت فيها.

بدأت تحكي..

أنا عايشه في بيت عيله وعملت عمل لمرات أخو جوزي بسبب اللي حصلي بسببها, كل اللي في البيت بقوا يكرهوني بعد ما هي اتجوزت ودخلت البيت, مش عارفه كانت بتحاول تخليهم يكرهوني ليه لحد ما نجحت في كدا, يمكن عشان كانت شايفه حبهم ليا وغارت مني!

أو يمكن لإن دي طباعها, اللؤم والخسة وقلة الأصل؟ أكيد السبب هو طباعها وقلة أصلها لإنها عملت حاجات محدش يتخيلها..

البيت فيه 3 أخوات وأبوهم وأمهم, اتنين أخوات متجوزيني أنا وهي, والأخ التالت شاب ولسه متجوزش.

طبيعي إن أعمال البيت بتتقسم عليا أنا وهي, سواء حلب الجاموسة أو التنضيف تحتها أو كنس البيت تحت خالص والسلم وغيرهم من الحاجات اللي عادي وفي كل البيوت, أنا متجوزه الأخ الكبير ومن وقت ما دخلت البيت وأنا بعمل كل حاجه ومش مخليه شئ في جهدي مبعملوش, أبو جوزي وأمه حبّوني جدا وأخوه الصغير كمان لإنه كان أحيانا بيطلب مني أكلات معينة مثلا سواء بيتزا أو كيك, الأكلات دي مش بيعملوها في البيت لكن لما عرف إني بعرف أعملها كان بيطلبها مني وكنت بعملهاله فبقيت محبوبة لحد ما دخلت العقربة دي.

في البداية حاولت تكسب حبهم لكن كانت شايفاهم بيحبوني أكتر, لحد ما بدأت تعمل حاجات تخليهم يتضايقوا مني مثلا أو يشوفوها شاطرة في البيت أكتر مني وهكذا

يعني مثلا اليوم اللي بتحلب فيه الجاموسة كانت بتزود اللبن مياه من غير ما حد يعرف وبالتالي بقت تطلع لبن أكتر مني ويوم بعد يوم بدؤوا يسألوني إيه اللي حصل ومش بتعرفي تحلبي زي الأول ليه وفلانه أشطر منك في اليوم بتملا كذا وكذا من اللبن..

كمان يوم الخبيز احنا بنجيب نوع من الدقيق الفاخر بنزود بيه الدقيق العادي عشان العيش يطلع بشكل وطعم أفضل, فكانوا مثلا يجيبوا مثلا خمسة كيلو دقيق فاخر واحنا المفروض نقسمهم مرتين, مرة في دورها ومرة في دوري, هي كانت بتاخد الخمسة كلهم في دورها وتحط مكان الاتنين كيلو ونص دقيق فاخر دقيق عادي اللي المفروض هستخدمهم أنا عشان يحسن جودة العيش بتاعي فبالتالي الخبيز بتاعها بيطلع أحسن من الخبيز بتاعي لإنها بتستخدم كمية كبيرة من الدقيق الفاخر وأنا بستخدم كله دقيق عادي.

الكلام بدأ يزيد وبقت تحصل مشاكل بيني وبين جوزي بدون سبب, هو يسمع وأنا أسمع ومكنتش عارفة كل دا لحد ما بالتدريج كشفتها مرة ورا التانية بدون ما تعرف وقررت افضحها واقول العمايل اللي بتعملها لكن حاجات زي دي كان ممكن يكون فيها طلاقها, صاحبتي نصحتني اقول لجوزي وجوزها واكشفها قدام البيت كله لكن أنا رفضت ورضيت لحد ما قالتلي طيب ما تعمليلها عمل عند فلان تخليها تبعد عنك وتكون في حالها وانتي في حالك.

رفضت في البداية لكن مع تكرار المشاكل والزن قررت اعملها عمل وطالما مش هأذيها والقصد منه أبعدها عني يبقى خلاص عادي ومفيش حاجه.

لكن الدجال من أول يوم دخلتله وأنا خايفه من نظراته, أنا الحمد لله على قدر من الجمال, طنشت نظراته وقولت آخد اللي أنا عاوزاه واستحمل وخلاص.

قالي على حاجات ارشها وحاجات أعملها, وبمجرد ما نفذت اللي قاله حياتي اتغيرت, كوابيس وخيالات وحاجات وحشه بشوفها سواء نايمه أو صاحيه, هو قالي إن دا هيحصل معايا ولازم بس استحمل كام يوم عشان يبدأ مفعول العمل يقوى وكدا, لكن مكنتش اعرف إن العمل معمولي أنا وطلب مني اصبر عشان مرحش لحد غيره ويفكلي العمل دا.

كنت بروحله من فترة للتانية عشان يخلصني من اللي انا فيه واقوله إنها مبيحصلهاش حاجه وأنا اللي بتعب فيقولي هاتي فلوس عشان كذا وكذا والطلبات, بدأت أبيع دهبي وادفعله واقول لجوزي إنه وقع مني في الشارع والمشاكل زادت أكتر وأكتر, ولما دهبي خلص وكنت خلاص قربت اتطلق لقيته بيقولي خلاص مش مهم الفلوس, أنا عايزك انتي!

ضعفت أكتر من مرة لكن زهقت من حياتي ومن اللي بيحصل فيها, خمس شهور على الحال دا, وبدون حل ولا علاج.

لحد ما قررت أدور على شيخ تاني ودورت لكن بدون حل, معرفوش يساعدوني وخدوا الفلوس اللي كنت بجمعها بالعافية من جوزي أو آخدها من أهلي, وسمعت عنك وجيت عشان تساعدني وتخلصني من اللي أنا فيه.

فكرت إزاي أساعدها واعلمها درس عشان متعملش كدا تاني لكن بعد شويه من التفكير ومن نظراتي ليها وذلها وانكسارها قدامي كان واضح إنها اتعلمت الدرس فعلا, كتبتلها على شوية أعشاب وطلبت منها تغليهم وتشربهم في أوقات معينة في اليوم وعلى فترات معينة, وقولتلها كمان على أعشاب تانية تنقعهم في المياه وتضيفلهم الملح وتستحمى بيهم عدد معين من المرات, وقولتلها إنها فترة مش هتكون مضطرة إنها تروح لحد تاني, وبعد فترة فعلا عرفت من "آزور" إن حالتها بتتحسن وبقت أحسن.

أي حد بيتقتل وينزل دم بيطلع عفريت في المكان اللي مات فيه, الملابس اللي لابسها لو حد خدها بيته مثلا أو حطها في أي مكان بتبدأ تحصل حاجات خارقة للعادة في المكان دا وناس كتير بتشوف عفريت صاحب الجثة وهو ماشي زعلان مثلا, أو بيصرخ نفس الصرخة اللي صرخها قبل ما يموت, أو يحاول يعمل حاجات يخوّف بيها سكان المكان وخلاص..

في يوم دخلوا عليا اتنين باين عليهم الهيبة والغنى, شيخ القرية الحاج محسن وصديقه الحاج عوض, طبعا بعد ماعم جابر عمل معاهم واجب الضيافة من حيث يعزم عليهم بمشاريب مش موجودة عندي في البيت أصلا لقيته بيدخل عندي وبيقولي وهو فرحان شيخ البلد بنفسه جاي ومعاه الحاج عوض أخليهم يدخلوا؟

هزيت دماغي كالعادة بدون أي تعابير مختلفة عن الهزة اللي بهزها في باقي الحالات اللي بتزورني, بعد ثواني دخلوا عليا الاتنين وهما بيبصوا حواليهم وعلى الحيطان وعليا, نظراتهم كانت متشككة, اللي هي زي ما يكون معندناش حل غيرك بعد ما جربنا كل الحلول,
والصراحة أنا بحب النظرات دي جدا عشان على قدر التشكيك وعدم التصديق اللي بيكون فيها في البداية على قدر التعظيم والإجلال اللي بشوفهم في عنيهم بعد ما أحل لهم مشكلتهم.

قعدوا قدامي والحاج عوض هو اللي بادر بالكلام وكان واضح على شيخ البلد إنه يأنف من الكلام معايا, بس معلش ميعرفنيش.

الحاج عوض قال بصراحة كدا يا مولانا وقبل ما يكملها شيخ البلد نكزه في جمبه اللي هو مولانا إيه وبتاع إيه, الحاج عوض كرر الجملة من غير مولانا وقالي بصراحة كدا احنا عندنا مشكلة عند الترعة القبلية, وحاولنا نحلها بأكتر من طريقة لكن بدون فايدة, لحد ما قولت للحاج محسن إننا نزورك يمكن نلاقي الحل عندك.

فضلت باصص في عنيه بدون ما اتكلم وأنا مش سامعه, كنت بسمع "آزور" وبعرف منه اللي حصل.

في يوم الصبح لقوا جثة أنور أبو محمود مرميه في الترعة, بلغوا البوليس اللي جي وحقق في القضية وفي الآخر قيدها ضد مجهول, المشكلة إن بعد اليوم التالت بدأ عفريت أنور يطلع للناس اللي بتروح الزرع بالليل وناس كتير شافوه لحد ما الحكاية اتعرفت في البلد كلها.

واحد مثلا حكي وقال كنت راجع من الزرع بعد العشا بفترة كبيرة وسمعت صوت بينادي عليا, الغريبة إن الصوت كان شبه صوت أبويا الله يرحمهم بالظبط, ركزت مع الصوت أكتر وهو بينادي باسمي من وقت للتاني واتأكدت إنه صوت أبويا, في الأول خوفت لكن جمدت قلبي ومشيت في الناحية اللي الصوت بيناديني منها لحد ما وصلت للترعة ومشوفتش حاجه, وبعد شوية وقت وأنا واقف ببص شمال ويمين افتكرت إن المكان اللي أنا فيه دا هو اللي لقوا جثة أنور مرميه فيه, في اللحظة دي شعر جسمي كله وقف زي ما يكون اتكهربت وحسيت بحاجه واقفه في ضهري, كنت متأكد إني لو بصيت وشوفته هيلبسني يعني هيلبسني, عملت روحي مش واخد بالي وبعدت عن المكان من مطرح ما جيت ولما رجعت لمكاني الأولاني رجع الصوت ينادي عليا تاني, عرفت انه اشتغاله منه وحلفت يمين ما ارد عليه ولا اجي المكان دا في الوقت دا تاني.

واحد تاني برضو قال إن الحمار بتاعي بييجي عند المكان دا ويرفع ودانه وديله ويبص كإنه شايف حاجه مش شايفها, وفي لحظة راح ناطط قدام وقعني وجري على البيت, حرقت أبو الحمير وصحابها ورجعت مشي, يادوب بس مشيت خطوتين لقيت حاجه اتهبدت في الترعة كإنك رميت فيها جاموسة بحجم عشر جواميس مع بعض, الدنيا كانت ليل وبصيت على الترعة ملقيتش حاجه لكن بصراحة خوفت, وفي اللحظة اللي خوفت فيها سمعت الحاجه دي بتخرج من الترعة بسرعة وبتجري ورايا وأنا اجري لحد ما صوتها اختفى من ورايا ولما بصيت ملقيتهاش.

واحد تالت حلف إنه شاف أنور ماشي على مياة الترعة وهو زعلان وحاطط إيده ورا ضهره وباصص في الأرض, كان ظاهر جدا الأول وبعد ثواني بدأ جسمه يبهت بالتدريج ويختفي لحد ما اختفى خالص كإنه مش موجود.

الحاج عوض كان خلّص كلامه وباصص عليا هو وشيخ البلد وعيونهم بتستفسر أنا ساكت ليه بعد ما خلّص كلامه بدقايق كنت بسمع فيها "آزور"

اتكلمت أخيرا ووجهت كلامي للحاج عوض وقولتله إيه المطلوب مني دلوقتي يا حاج؟

بص للعمدة كإني المفروض عارف الإجابة وابتسم وقال محتاجين تخلصنا من العفريت دا عشان الحكاوي كترت وكذا واحد جي لشيخ البلد عشان يحل الموضوع دا أو يلاقيله صرفه.

قولتله ماشي نتقابل هناك بعد يومين..

بص للعمدة ورجع يبصلي تاني وبنبرة فيها عصبية قالي ليه يومين؟ بعدها ابتسم بسرعة وقال يومين كتير يا مولانا احنا عايزين في أقرب وقت عشان كلام الناس يخلص.

قولتله ماشي, الليلة قبل الفجر نتقابل هناك, عم جابر عارف المكان مش كدا؟

شوفته اعترض على الوقت بعنيه إن بعد الفجر وقت غريب جدا وواضح إنه من النوع الخوّاف, وقبل ما يتكلم تقريبا شيخ البلد عرف هيقول إيه راح نكزه في جمبه وبعدها قال بتردد وهو بيحاول يستجمع قوته على بركة الله نتقابل الليلة قبل الفجر.

كنت عارف إن اللي بيظهر للناس في المكان دا هو عفريت طالع من الأرض, لإن اللي بيتقتل ويتساب في مكان بدون ما حد يطلب له حقه بيحصل معاه كدا, حتى زمان كان اللي يموتله ميت ميسكتش غير لما ياخد بتاره ودايما يردد إن التار بس هي اللي هتخلي روح المقتول تسكت وتهدا.

في نفس الليلة قبل الفجر خدني عم جابر وروحنا المكان اللي اتقتل فيه أنور ولقينا شيخ البلد والحاج عوض واقفين في نفس المكان لكن بعيد شويه, مجرد ما شافوني اتطمنوا, حتى شيخ البلد اللي مش مصدقني شوفت علامات الراحة ظهرت في عنيه, طلبت من التلاته انهم يوقفوا ورايا بمسافة مش كبيرة, عشان يشوفوا اللي هعمله.

جو المكان كان تقيل لكن أنا متعود على كدا, قعدت على الأرض واتربعت وحطيت إيدي قدامي على الأرض وبدأت أقرا, بعد دقيقة من القراءة بدأ الجو اللي حوالينا يتغير بدل ما يبقى كاتم ومفيهوش نسمة هوا بقينا نحس بتغير الجو وفجأة بدؤوا يسمعوا صوت حاجه بتحصل في الترعة, كإن فيه سمكة كبيرة وصياد بيحاول يصطادها وهي بتحاول تفلت من صنارته.

لما سمعت الصوت دا عرفت إن "شدام" نجح وهيطلع العفريت من الترعة, وفي اللحظة دي طلعت بطرمان كبير من كيس كنت ماسكه في إيدي وفتحت الغطا بتاعه ووجهت البطرمان ناحية الترعة والغطا مرمي جمبه.

بعد ثواني سمعت الحاج عوض بيقول لشيخ البلد بلهفة كإن عقربة لسعته "بص يا محسن بص"

كان بيشاورله على الترعة والـ "ورنة" اللي خاجه منها وهي بتتسحب غصب عنها وجايه ناحيتي, فضلت على الحال دا ثواني وه تقرب مني أكتر وأنا باصص عليها وطول فترة مشيها على الأرض كان حجمها بيقل بالتدريج وهي متجهة ناحية البرطمان لحد ما بقت في حجم يسمحلها تدخل فيه, وفعلا على فوهة البطرمان فضلت لحظات تقاوم كانت لحظاتها الأخيرة أو بمعنى أصح لحظات العفريت الأخيرة, وفي الأخير دخل البطرمان, في اللحظة دي مسكت الغطا وقفلته كويس وقومت عادي خالص كإن مفيش حاجه حصلت ونفضت التراب عن

هدومي وأنا بحط البطرمان على صدر شيخ البلد وبقوله ابقى ادفنه في حته بعيدة وفي عمق أبعد عشان لو طلع تاني مش هيسيبك لا انت ولا الحاج عوض.

كانت بتجيلي حالات من قرى ونجوع حوالين القرية اللي أنا قاعد فيها, واللي الحمد لله لحد دلوقتي نجحت إني مقولش اسمها وسط القصص والحكايات اللي قولتلكوا عنها.

في يوم جالي واحد من نجع من النجوع اللي حوالين القرية واللي موجود في ضهرهم جبل كبير ويعتبر آخر حدود النجوع كلها من الناحية الشرقية, مجرد ما دخل عندي وكان واضح في عنيه الإجلال والاحترام بشكل كبير, ودا مش بيحصل كتير معايا خصوصا من الناس اللي بتيجي من بره القرية.

سمعت صوت "شدّام" في ودني وهو بيقول صيتك بدأ يسمّع في القرى والنجوع, وقريب جدا هيوصل المدن.

ابتسمت ابتسامة باهته لإني كنت عارف إن دا معناه اصطدامات ومشاكل هتحصل في المستقبل بيني وبين السحرة اللي مدفونين وسط المحافظات, واللي فيه منهم أقوى مني بشكل كبير لكن مكانوش هما سبب قلقي, لإن الكبار دايما بيحاولوا يكونوا بعيد عن العين وبيشتغلوا في الخفاء, أما الصغيرين أو متوسطي الخبرة اللي زي حالاتي هما اللي بيحبوا يبانوا ويظهروا قوتهم وسيطرتهم على البلاد اللي حواليهم, عشان اسمهم يتقال بوجه عام مثلا في الصعيد مفيش غير فلان الفلاني هو أقوى واحد, أو في بحري مفيش غير فلان الفلان هو كبيرهم, وعلى العكس بيكون فيه أقوى منهم بكتير وهم اللي مش ظاهرين, اللي بيعرفوا يعملوا كل حاجه وأي حاجه لكن بدون ما أخبارهم تنتشر.

برضو الصغيرين أو متوسطي الخبرة مبيكونش الذنب ذنبهم بالكامل, أحيانا الخدام اللي معاهم يصيبها شيء من جنون العظمة وبيحبوا يتذكر اسمهم في العالم بتاعهم, الأخبار في عالم الجن بتنتقل وتتحكي زيها زي الأخبار في عالمنا. عشان كدا أوقات نسمع إن فلان مات موته شنيعة ولما البوليس فحص بيته أو الشقة بتاعته لقى كتب قدام ورسومات وطلاسم سواء في الحمام أو على الأرضيات, الغبي دا بيكون حاول يلعب مع الكبار لكن للأسف اتمسح في ثواني, وطبعا القضية يتم تقييدها ضد مجهول والناس تقول عليه شهيد الجن, هاهاها. الجهل أحيانا حلو.

رجعت بتركيزي للراجل وهو بينادي سيدنا الشيخ واللي كان واضح إنه كررها أكتر من مرة بدون ما اسمعه, هزيت دماغي كعلامة إنه يتكلم ويقول سبب قدومه, وبدأ يحكي..

الأيام اللي فاتت المياه بقت تقطع بشكل كبير عندينا في النجع, وفيه ناس قدمت شكاوي وبلاغات لكن من غير فايدة, احنا يعتبر معدومين الخدمات ويمكن لو قولتلك إننا لسه بنستخدم الحمير والجمال في نقل أغراضنا أكتر من العربيات مش هتصدقني.

المهم بسبب قلة المياة وانقطاعها لفترات يمكن توصل لأيام, فيه كام واحد في النجع فتحوا سيرة بير العجوز وقالوا نفتحوا البير من تاني, لكن ناس عارضتهم وقالوا مينفعش نفتح البير عشان جدودنا ما صدّقوا يتخلصوا من اللعنة بتاعته, ردوا عليهم وقالوا الكلام دا كان زمان واحنا مشوفناش حاجه ويمكن يكون كل دا قصص وتأليف وحكايات مصاطب, وبدأ يحصل شد وجذب لحد ما القرار النهائي كان إن البير يتفتح تاني.

فتحنا البير وأول كام يوم كانت الأمور طبيعية لحد ما في يوم بعد المغرب واحد كان رايح يملا مياه من البير وقبل ما يوصل عنده سمع صوت خبط جواه كإن فيه حد بيشد الدلو, الراجل دا خاف في البداية لكن بعدين حاول يتغلب على خوفه وقال يمكن تهيؤات أو صوت الريح هو اللي بيعمل كدا, قرب من البير ونزّل الحبل والدلو اتملا ولما طلع الدلو لقاه فاضي!

وقتها رجع من طريق ما جي ومحاولش يملا الدلو تاني لإنه حس بالخوف بس محبش يبيّنه, وتاني يوم حكى اللي حصل معاه.

عم عطية حلف إنه في يوم شاف الدلو بيتحرك لوحده, قلبه كان قوي وراح يشوف حكاية الدلو ولما حاول ينزل الدلو حس إيده بتتقفل في الهوا فقرر يتراجع وخلاص.

شاب اسمه حسن كان شغال في الأرض بتاعتهم واللي تعتبر جمب البير حلف بكل الأيمانات إنه شاف واحد أسود قاعد على طرف البير من غير راس وباصص ناحية حسن وبيشاورله.

الحكايات زادت في البلد وسمعنا من الست عدلات ودي كانت طفلة يوم ما ردموا البير وفاكره اللي كان يحصل والكلام اللي انتشر وقتها إن الناس قفلوا البير بعد ما كانوا يسمعوا صوت حد بينادي عليهم منه, وحصلت حاجات كتير وحكايات لكن هي مش فاكراها بسبب كبر سنها وعقلها اللي مبقاش فيها.

أسلوب الراجل كان جميل في القص, عنده مهارة فريدة لو فتح قناة يوتيوب هيكسب منها دهب, لكن أراهن إنه ميعرفش حتى يعني إيه انترنت.

حبيت اسمعه أكتر واخليني من شدام وأسلوبه اللي بحسه دايما بيحكيلي كإنه إنسان آلي وسألت الراجل دا عن الحكايات اللي سمعوها عن البير زمان.

قال فيه ناس بتقول إن البير زمان اتبنى فوق مدفن قديم لشيخ, وكان ضريح قبل ما يبقى بير, وناس تاني قالوا إن واحد عجوز كان بيسقي منه ورجله اتزحلقت غصب عنه ووقع في البير واختفى, والناس معرفوش إنه وقع في البير غير بعد ما شافوا الهدوم اللي كان لابسها في آخر يوم له وهي طافيه على وش المياه.

حكى لي قصص كتير استمتعت بيها جدا, لحد ما قال إن فيه إحساس بالخوف والرهبة كل الناس حسوا بيهم لما يقربوا من البير بالليل.

الناس قرروا يلاقوا حل للي بيحصل وأنا كنت اكتر واحد سمعوا عني حكايات من الناس والتجار اللي بيسافروا بين القرية والنجع, وطلب مني أروح معاه اشوف البير والاقيلهم حل لإنهم مش عايزين يدفنوه تاني بسبب قلة المياه.

وقررت اروح معاه.

قررت اروح لبير العجوز زي ما يقال عنه عشان أحل المشاكل اللي بتحصل مع سكان النجع هناك, خصوصا وبعد اللي سمعت عنه بقيت متأكد إن القصص والحكاوي دي يادوب غيض من فيض, وفيه أسرار وحاجات تانية كتير حوالين البير دا وأهل النجع ميعرفوهاش.

وصلت هناك بعد العشا لإن مكانش ينفع غير الوقت دا, ومكانش معايا غير الشخص اللي جي حكالي الحكاية وأخدني معاه, قبل ما نوصل لمكنا البير شاورلي ناحيته وقال قربنا, البير هناك اهو, والصراحة مكانش له داهي يقولي سواء هو أو حد من اللي معايا, طاقة المكان كانت ملخبطة, مرة قوية حد الصراخ ومرة ضعيفة حد السكون!

مع كل خطوة كنت بخطوها تجاه البير كنت بسمع صوت همسات, كلمات منفصلة, صرخات مكتومة, ضحك شماته..

بصيت للراجل وقولتله اتفضل انت وخليني في المكان لوحدي.

حل بكل الأيمانات إنه مينفعش وعيب وميصحّش, حصل شد وجذب بينا لحد ما فهّمته إن الموضوع مش عزومة ولا ضيافة, أنا فعلا لازم افضل في المكان لوحدي, ومع كل جملة تبين شهامته كان بيقولها كنت أنا بصر على إنه يمشي حبا فيه وفي أخلاقه, وبصراحة لإني حسيت إن فيه حاجات كتير هتحصل وكنت خايف عليه ليصيبه شيء منها خصوصا إنه شخص عادي ومعرّض للخطر في أي لحظة ووجوده في المكان دا خطر حقيقي, وبصراحة كمان كان جوايا إحساس إن البير دا تحدّي ليا أنا شخصيا.

وأنا بقرّب من البير كنت بحس إن الهوا تقيل كإنه مش عاوزني أكمّل خطوة كمان, الأرض حواليه ناشفة ومتشققة على عكس كل الآبار اللي المفروض الأرض حواليها تكون دايما نديّة وفيها أثر المياه وكلها طحالب خضرا, لكن دي كانت ناشفة كإنها مشربتش مياه من سنين, وفيه دايرة ضيقة كدا حوالين الفتحة مفيهاش ولا نبته كإن الحياة وقفت عند الحد دا.

حافة البير عبارة عن حجر قديم متآكل ملمسه خشن وبارد حتى في الحر وعليه آثار سواد غامق!

شميت ريحة رطوبة ممزوجة بريحة خانقة, الدلو متعلّق على الحافة, قديم ومعدنه مصدّي ولونه مبقاش واضح لا هو أسود ولا هو بني, أما الحبل فكان سميك وليفه خشن متشرّب مياه ورطوبة لحد ما بقى تقيل كإنه أفعى مشدودة بالعافية, لونه رمادي غامق وألياف أماكن كتير منها متفككة لكن الغريب إنه لسه محتفظ بقوته كإنه راجل خمسيني بيشتغل في المعمار من سنين بقوة وصلابة غير عاديين ولسه محتفظ بيهم لحد دلوقتي.. حبيت المكان.. وحبيت البير.

حطّيت إيديا الاتنين على حوافه وبصيت فيه, كنت زي بنت واقفة في البلكونة وبتبص على حبيبها اللي قالها في نص الليل إنه واقف تحت وجايبلها هدية.

بصيّت جواه, السواد مكانش عادي, مش مجرد ضلمة, كان ضلمة غريبة ليها عمق كإنها بتسحب العين لجوّه غصب..

ابتسمت ورجعت بضهري خطوات عن البير ورسمت دايرة في الأرض وحواليها خطوط ورسومات معينة كنت بعاني من حفظها خلال الشهر اللي قضيته مع الجن لإنها صعبة جدا والأصعب منها إنها تفضل موجودة في الذاكرة.

قعدت وسط الدايرة وأنا متجه بجسمي ناحية البير, آزور كان واقف ورايا مسبقا بعد ما عرف اللي هعمله, غمضت عيني قبل ما يحط صباعه على مؤخرة راسي وبدأت أشوف لقطات قديمة للمكان.

بيت متوسط والبير دا في ركن من أركانه.

واحد قاعد في أوضه وناس كتير واقفه برّه منتظرة دورها.

جثث وهياكل صغيرة لحيوانات مختلفة مقتولة ومسلوخة ومنها مقطوعة الراس.

ناس جايه من بعيد ماسكين مشاعل وعيونهم كلها كره وغضب وواحد منهم بيقول لنفسه كإنها بيفكرها "لازم يموت بعد اللي عمله في تهاني".

نار مسكت في البيت, نار مش عالية لكن محبوسة, الجدران بالتدريج لونها بيتحول للأسود وبتخرج منها أدخنه خفيفة قبل ما النار تمسك فيها وتوقع.

الراجل اللي جوّه "ساحر" واقف وسط النار مبيجريش, عينه ثابتة وإيده ممدودة على الأرض بيرسم آخر خط في طلسم انقطع نصه لما السقف بدأ ينهار, سمعت صوته وهو بيهمس بطلاسم غريبة عليا كإنه بيكمل حاجه وخايف يفقدها.

البيت اختفى لكن فيه حفرة لسه سخنة والناس واقفة بعيد محدش بيقرّب منها.

الساحر تحت الأرض بيحفر في قاع الحفرة ومتجه للبير لحد ما وصل له وبيحاول يحفر جوانبه ويوسّعه أكتر وأكتر.

وفجأة وهو بيحفر رفع راسه لأعلى البير وهو بيبص لفوق, مش للفتحة, كان بيبصلي أنا وكإن الزمن كان مستني اللحظة دي, وفي الثانية دي رجعت للواقع بعد ما صباع "آزور" اتشال من مؤخرة راسي وشوفت حاجه ضربته ورجعته لورا قوي, ذهلت من اللي حصل وفجأة المكان شحنته الكهربية وطاقته بقوا عاليين جدا وبدأت تظهر كيانات واقفة بعيد عني كإنها كانت بتراقب كل دا ومستنيه اللحظة المناسبة, شوفت آزور وهو بيحاول يقف من جديد ويحارب الكيانات دي لكنهم كانوا أقوى منه وشوفتهم بيدبحوه قدّامي.

أما أنا فالدايرة اللي راسمها كانت اتحولت لهالة زرقا وبدأت طلاسمها تتحول لكتابات وتلف حوالين الهالة دي, وشدّام كان معايا فيها ومكانش ينفع افك الطلسم واسيبه يخرج لإن في الحالة دي فيه خطر عليا وعليه.

بموت آزور اتبعتت رسالة لقبيلته إن فرد من أفرادها مات, شدام همسلي وقالي هتشوف معركة عمرك ما شوفتها في حياتك, وفعلا لحظات وبدأت تظهر كيانات تاني كل واحد منهم معاه سلاح مختلف عن غيره وقامت معركة طاحنة استمرت لحد قبل الفجر وأنا قاعد مكاني بحاول اكون ثابت وبعمل حساب النفس اللي بتنفسه, لحد ما طاقتي تقريبا كانت خلصت وآخر حاجه سمعتها كان صوت شدام وهو بيطلب مني أفك طلسم الدايرة اللي أنا وهو محبوسين ومحميين فيها, وبعد ثواني حسيت بجسمي بيطير ويرجع لسريري.

ظهور قبيلة آزور وانتقامها لقتله كان ضربة حظ ليا ولشدّام ولولاهم كانوا المهاجمين أكيد هيلاقوا طريقة يفكّوا بيها الطلسم اللي رسمته لإني عرفت بعدين إن اللي بعتهم يعتبر ساحر قوي اتطلب منه القضاء عليا بناء على رغبة قبيلة معادية لقبيلة "برهام" ودا لإن في عالمهم القبيلة اللي تحب تزعل قوي قبيلة تانيه بتقتلهم الوسيط بتاعهم "اللي هو أنا" بالتالي هتحرمهم من شخص متعلم, مهيأ, جاهز لأي مهمة.

وهيشغلوهم فترة مش قليلة في البحث عن وسيط جديد وتجهيزه وتعليمه وحاجات كتير مش مهم أذكرها, المهم إن تم إنقاذي في اللحظة الأخيرة, ومعلومة سرية كدا ليكم, قبائل الجن لما يموتلها حد مهم أو رتبة عالية بيتحركوا بسرعة عشان ينتقموا لمقتله, عشان كدا نادرا لما نسمع عن جن اتقتل, دايما نسمع إنه اتنفى, اتحبس أو حتى اترصد, لكن اتقتل! مبتحصلش, أو تقدروا تقولوا محدش مننا بيغامر بحركة زي دي طالما فيه حاجات تانيه باستطاعته يعملها بتؤدي لنفس الغرض من القتل, فـ ليه منستخدمهاش!

فضلت يومين مرتاح وطلبت من عم جابر خلالهم إن ميستقبلش أي حالات لحد ما طاقتي يتعاد شحنها وترجع لطبيعتها من ناحية, ومن ناحية تانية كنت بتابع الحرب اللي دايرة بين الساحر والقبيلة اللي معاه مع ناحية ومع برهام وقبيلته بعد ما عرفت إنهم قدروا يسيبوا المكان اللي قابلتهم فيه في الصحرا للمرة الأولى وبقوا قادرين يتنقلوا بين العوالم وقوتهم بدأت ترجعلهم من تاني. وخلال أسابيع الحرب اتطلب مني مخرجش من غرفتي المحصنة لعلاج أي حالة مهما كانت أو أي حدث غريب ممكن يحصل برّه بيتي.

وفي يوم وصلتني حالة مس من جن عاشق لبنت راجل غني من سكان المدينة, عندها 15 سنة وبتعاني من صداع مزمن متكرر, ضعف وهزل في جسمها بدون سبب, كوابيس, نوبات عياط أو عصبية, وأخيرا حاولت تنتحر مما دفع أبوها إنه يبحث عن طريقة غير مألوفة لعلاجها خارج إطار الدكاترة النفسيين, ودا بعد ما أكتر من واحد نصحه بالاتجاه للطريق الروحاني, طريقي أنا.

دخلت البنت وأبوها ومعاهم المربية بتاعتها واللي معاها دايما من وقت ما اتوفت أمها, في العادة كان آزور بمجرد ما يدخل حد عندي بلاقيه جمب ودني بيحكيلي حكايته, ويمكن غلطته الوحيدة طول وجوده معايا إنه مقدرش يعرف إن اللي جالي وحكالي عن بير العجوز كان بيخفي جواه خطة خبيثة لقتلي.

أعراض المس العاشق كان باين في عنيها, بمجرد ما شوفتها, وفي العادة الحالات دي بقابلها كتير وكلهم بيعانوا من نفس الكوابيس والتهيؤات, حالاتهم بتكون متطابقة بنسبة 90%, الاختلاف الوحيد بيكون في رتبة الجن اللي عاشقهم والأماكن المختلفة اللي بيخليهم يشوفوها في الأحلام واللي احيانا بتنقلب لكوابيس.

طلبت من أبوها يخرج ينتظر بره وكان متفهم جدا وواضح عليه إنه متعلم جدا جدا, قعدت قصادي هي والمربية وطلبت من المربية تقعد في ركن من الغرفة فيه كرسي حاطه مخصوص للحالات اللي زي دي واللي أحيانا بحب أسمعها بتحكي حكايتها بنفسها, بستخدم عليهم طلسم بيخليهم يحكوا كل حاجه بصراحة وبدون ذرة كذب, استخدمته عليها بعد لحظات من مغادرة المربية وبدأت تحكي.

أنا عملت جرايم كتير وقتلت قلوب كتير, استغليت الجمال اللي منحهولي ربنا عشان أعذب بيه الناس اللي حواليا, كان فيه شيء جوايا بيستمتع لما اشوف حد متابعني بعنيه مسافة كبيرة وأنا راجعة من المدرسة, إحساس بالتفرّد والتميز كان بيزيد جوايا مع كل ابتسامة بيتسمهالي واحد عشان يلفت انتباهي, أفكار خبيثة كانت بتتنطط في دماغي تخليني ألعب بالناس واتسلى بيهم, مع إني كنت بحاول اسيطر على الأفكار الشيطانية دي لكن إحساس باللذة كان بيزيد جوايا مع كل فكرة اعملها وتنجح.

أول ضحية ليا كان شاب اتعودت اشوفه في الشارع بعد ما اخلص مدرسة, واقف في نفس المكان وبيتابعني بنفس العينين, كنت عاجباه وواضح عليه إنه عايز يقرّب مني بس مستني مني إشارة, مكانش حابب آخد عنه فكرة زي غيره من اللي بيعاكسوا, كان واضح عليه القوة والسذاجة مع بعض, كان دايما بيبصلي بنفس البصة اللي فيها انبهار وإعجاب في نفس الوقت,

لحد ما بدأت اقلل من سرعة خطوات عشان يشوفني أطول وقت ممكن, واستمتع بنظراته ليا مع إني بكون باصة في الأرض لكن فينا عيون مخفية بتخلينا تشوف اللي قدامنا وهو بيتابعنا.

أحيانا كنت بمثل إني ببص في الساعة وبص عليه لثانية أعرّفه فيها إني حاسه بوجوده, وعارفه اللي بيعمل ودا كان بيزود اللهيب جواه, لحد ما قررت أكسره مع إنه معملش معاي أي حاجه وحشه بالعكس كان أكتر شاف محترم حاول يتقربلي.

بمرور الأيام بدأت ابتسمله ابتسامة خفيفة كل ما عيني تيجي في عينه لمدة ثانية بمحنهاله كل يوم, وخطواتي بدأت تكون أبطأ وفي يوم ابتسمتله ابتسامة كبيرة وبدل الثانية أخد ثواني شجعته إنه يمشي ورايا ويحاول يكلمني, مشي ورايا مسافة تخليني اسمع صوته الهامس وهو بيحاول يكلمني, سمعته بيقول ازيك, كان بيقولها كإنه بيسأل بيها عن حالي وبيسألني بيها اكمل كلام ولالا, هزيت راسي قدام ولورا يعني تمام أو كويسه, سكت لحظات كإنه بيحاول يلاقي حاجه تاني يقولها مع مكانش متوقع إني أرد عليه, سمعته بيقولي عاوز اكلمك ينفع؟

قلبي دق وأنا بفكر في اللي بعمله, كان جديد عليا ومعرفش اتصرف إزاي, ولقيت رجلي غصب عني بتمشي في طريق غير اللي كنت بمشي فيه كل يوم وهو حس بكدا, كان طريق ضيق وكله انعطافات ومفيهوش ناس كتير, هو حس باللي عملته إني موافقة اكلمه, قرّب مني أكتر وسمعت صوته أوضح بيقول جمب ودني ممكن تقفي دقيقة أكلمك؟

حسيت بخوف ولذة ورهبة في وقت واحد, فاز عليهم إحساس بالمغامرة, سرّعت خطواتي أكتر وأنا بسمعه بيحاول يكلمني أو يوقفني لكن خايف, وقبل ما اوصل البيت خوفت احسن يمل ويرجع رحت بصيت عليه وابتسمتله ابتسامة كبيرة رجعتله ثقته في نفسه تاني لحد ما قربت من البيت ولمحت وقتها واحد من جيراني أكبر مني بسنتين, فاشل دراسيا وأخلاقيا وكل حاجه, وحاول يتقرّب مني بكل الطرق لكن كنت بصده وعمري ما بلعته, كان واقف مع اتنين من صحابه اللي أكيد فاشلين زيه, وصلنا قدامهم وأنا راسمه على ملامحي أثر الخوف والزعل وكان فاضل شويه واعيّط, استغربت من قدرتي غير الطبيعية على التمثيل بالمهارة دي, واللي

ماشي ورايا مكانش شايف طبعا أي حاجه من الحاجات دي, ولما وصلنا قدام جاري بصيت عليه بقرف وقولتله, إيه قلة الأدب دي**!** عايز مني إيه عمال تعاكسني من الصبح.

وبصيت لجاري لمدة ثانية وقولتله بعنيا انقذني, وهو مكذبش خبر بمجرد ما لفيت وكملت ناحية البيت سمعته بيصرخ فيه ويقوله انت بتعاكس اختي يابن الـ ***

وبدأت الخناقة واللي أكيد انتهت بضرب الشاب دا ومش هتخليه يرجع يستناني تاني ويلعن الحظ اللي وقعني في طريقه.

وقفت عند الباب وأنا شايفاهم وهما بيضربوه, لحد ما وقع على الأرض وبعدها قام وجرى منهم, خطتي نجحت بس مكنتش فاكراها هتنجح بالشكل دا, كنت هصرخ فيهم عشان يسيبوه لكن مقدرتش, طلعت اوضتي جري واترميت على السرير وأنا بعيط من اللي عملته, وشوفت نفسي حقيرة, لكن هل الحادثة دي أدبتني وكبحت الشيطان اللي جوايا؟ للأسف لا!

شباب كتير غيره عملت معاهم زي كدا وأكتر, كانوا بيبعتولي على الفيس وانستا ومواقع كتير غيرهم, كنت أحيانا اهتم بواحد واكلمه بالساعات لمدة يومين أو تلاته وبعد ما يتعود عليّا اطنشه, ارد عليه ردود باردة, اعمل سين ومردش أصلا, ولما يسأل كتير اقوله معلش كنت مشغولة وكلامي يقل معاه وبعدين مكلموش تاني خالص او اعمله بلوك عشان يسأل نفسه هو عمل إيه غلط.

واحد تاني مثلا احكيله أسراري وأحسسه إنه قريب جدا مني وإني لقيت الأمان معاه وأول ما الاقيه يتعلق بيا وفي اللحظات اللي بيحاول يعترفلي بحبه كنت بقوله إني مش هلاقي أخ زيه في حياتي, ولو حاول يغيّر الكلام ويشرح العواطف كنت بصده واشرحله إني شايفاه أخ أكتر من أي شيء تاني.

وخلال ما كانت بتحكي لسانها بدأ يتقل بالتدريج لحد ما سكتت خالص وعيونها بدأت تقفل ومالت براسها لقدام, عرفت وقتها إن مدة الطلسم خلاص انتهت..

ناديت على المربية بتاعتها وطلبت منها تقعد قدامي وتحكيلي اللي كان بيحصل معاها, خفضت راسها في الأرض بحزن وقالت:

سلمى دايما شخصية مرحة, ومحبوبة بين أصحابها, لكنها عنيدة أحيانا وعايزه الكوكب كله يكون تحت أمرها ويشوف إيه اللي يبسطها ويعمله وإيه اللي يزعلها وميعملوش, كل طلباتها كانت بتتنفذ ويمكن دا العيب الوحيد في تربيتها, كنت بحاول معودهاش على كدا لكن أبوها كان بيرفض ويقولي اعمليلها كل اللي نفسها فيه, ويلمحلي إنها يتيمة ومن غير أم.

لما كبرت وعرفت إنها أنثى وشافت جمالها ونظرات الناس ليها بقيت احس شخصيتها بتتغير وبتقعد مع نفسها كتير وتقفل الباب عليها بالساعات, وفجأة بدأ أكلها يقل وجسمها ينحف وتتعصب على أتفه الأسباب, لحد ما في يوم بقينا نسمعها بتتكلم بصوت غير صوتها, أبوها خدها على الدكتور وشخّص اللي حصل دا إنه عرض مؤقت وبداية انفصام في الشخصية وكتبلها أدوية ومسكنات, لكن بدون فايدة.

لحد ما الصوت الغريب اللي بتتكلم بيه بقى يظهر باستمرار وتقول أسرار اللي قاعدين في البيت وفضايحهم ومشاكلهم, كلنا كنا بنستغرب هي بتعرف الكلام دا ازاي أو جابته منين, وفي نفس اليوم أبوها جاب شيخ معاه بالليل وبدأ يقرا عليها, اتشنجت وبقى الدم يطلع من ضوافرها, وجاب مياه بملح وشربهولها وبعدها هديت شويه, وقال لأبوها لازم ياخدها لحد متخصص في الحاجات دي لإن واضح إن بنته عندها مس من الجن.

قبل ما نيجي بيوم كنا اتعودنا خلاص نشربها مياه بملح لكن كانت بتقفل بقها ومحدش يقدر يفتح فكنت بحطلها المياه في مناخيرها, الشيخ قالي لازم جسمها يدخله ملح بأي طريقة.

قولتلها خلاص كدا تقدري ترجعي مكانك وأنا هبدأ علاجها ومهما شوفتي خليكي ثابتة, عايزك تكوني موجودة كإنك مش موجودة.

قمت وولعت كلوب قديم بيشتغل بالغاز وطفيت نور الأوضة وجبت شمع وزعته على الأرض بشكل مش منتظم, أشعلت بخور كثيف وخليته في الأرض تحت الشموع وخليت الهوا يحركه زي ما يحب, شلت سلمى وحطيتها بين الشموع ووقفت بعيد عنها بخطوات.

بعد لحظات بدأت يظهر صوت دق خفيف على الأرض, عرفت إنه حضر, قولت بصوت هادي وواثق احنا داخلين, ومش ضيوف.

لازم الجن يحس بالقوة في كلامي ويشوفني أقوى منه, الدق وقف فجأة ولهب الشموع والبخور كلهم مالوا في حته واحدة.

جبت وعاء فخار فيه مياه مخلوطه بملح وبقيت اغمص صوابعي وارش مياه حوالين سلمى, وأنا بتكلم عادي كإني عملت الطقس دا ألف مرة, وقولت اللي ماسك الجسد يسمع..

سلمى جسمها اتنفض فجأة وصدرها اترفع لفوق شبر عن الأرض وبدأت اسمع صوت نفسها واتكلمت بصوت غير صوتها وقال بشكل ساخر, اتأخرت..هي خلاص ارتاحت معايا.

شاورت بإيدي ناحية اليمين في إشارة لشدام إنه يكون جاهز وقولت للي بيكلمني, الراحة اللي تيجي بالسرقة..دين.

بدأت ارسم بصباعي دايرة على الأرض حوالين الدايرة اللي عملتها بالملح ووجهتله كلامي وقولتله الخادم حاضر, ودي فرصتك الأخيرة للخروج.

اتكلم بصوت غاضب وهو بيصرخ, مش هسيبها..

في اللحظة دي قررت أهدده, طلعت من جيبي سكينة صغيرة نصلها باهت ومليان بخدوش, مشّيت إبهامي على النص وفي اللحظة اللي صباعي بيتحرك فيها فوقه كان لونه بيتحول للأسود, لإنه شرب من حرارتي.

سمعت الصوت بيتكلمي عن طريق سلمي وبيقولي, لالا دي مش لعبتك.

قولتله بتحدي, ممكن متكونش لعبتي لكن اقدر أأذيك.

قربت من الدايرة وانا بشوف جسم سلمى بيتهز, كان واضح عليه الخوف بس مش عايز يتكلم, ضربت الدايرة بحد السكين ضربة خفيفة عشان مقتلوش, سمعت صرخته, وانطفت شمعتين مرة واحدة, رفعت السكينة وضربتها في الدايرة تاني, كان بيحاول يكتم صرخته لكن كنت بسمعها والشمع بينطفي, كررتها مرتين لحد ما بدأت اشوف دم اسود بينزل من جسمها ويتشكّل على هيئة بقعة في الأرض.

كنت عارف إنه اتأذى جدا وأي ضربة تاني ممكن تقتله, وأنا كنت جازفت بما فيه الكفاية ومينفعش اضربه أكتر من كدا, وقفت مكاني بحاول ألاقي طريقة اتصرّف بيها لكن الحمد لله بقيت اشوفه دخان بيطلع منها ويتشكل فوق جسمها على هيئة ظل, وقف قصادي للحظات واترسمت فيه عيون بصولي بصة عمي ما هنساها, واختفى.

سلمى فاقت وهي مش عارفة إيه اللي حصلها وفي اللحظة دي شاورت للمربية عشان تيجي تساعدها وأنا رجعت مكاني تاني, وقبل ما يسيبوني ويمشوا قولت لسلمى جملة أخيرة, دلوقتي انتي رجعتي لنفسك, بس افتكري إن اللي بييجي بالغلط بيرجع لو الباب اتساب مفتوح.

"برهام" ظهرلي فجأة وبدون سابق إنذار في وسط الغرفة اللي بعالج فيها, ظهوره أربكني الصراحة وكانت عندي حالة بتعاني من الكوابيس والنوم غير المنتظم وطول فترة وجودها وهي مقتنعة إن مرات أخوها عاملالها عمل ربط معكننة عليها عيشتها عشان هي وأخوها عايشين في خير وسعادة ومرات أخوها وجوزها عايشين في نكد وتعاسة عشان كدا عملتلها العمل دا, ومكانش فيه عمل ولا حاجه بس مينفعش أقولها كدا, كنت قاعد بسمع حكاياتها وباخدها على قد عقلها, وفي الآخر كنت همسك ورقة واشخبط عليها بأي شيء واقولها تحرقها وتعدي فوقيها سبع مرات والرماد بتاعها تدوبيه في جردل مياه وتستحمي بيه وهتبقى زي الفل, لكن بظهور "برهام" قاطعتها وقولتلها خلاص حلّك سهل وبسيط لكن أهميته إنك متعرفيهاش إنك عرفتي وإلا العمل اللي هنفكه هيرجع تاني, هزت راسها والدموع هتنط من عيونها بعد ما أخيرا لقت العلاج, وفي الأخير خدت الورقة ومشت.

بعد خروجها على طول كان عم جابر ورا الباب وبينادي على الحالة التانية لكن ناديت عليه وقولتله ميدخلش حد دلوقتي لحد ما اقوله, هز راسه وقفل الباب زي ما كان ووقفت في مكاني لإنه من قلة الذوق إن معلمك يكون واقف وانت قاعد, الجن بيحب الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة دي قوي, وبرهام مكانش المعلم بتاعي وبس, دا كبير قبيلة.

فضل ساكت للحظات خلّاني فيها اتخيل كل الكواراث اللي ممكن تحصل أو هتحصل لدرجة إنه ييجي بنفسه عشان يحذرني أو ينقذني منها, لو كانت أخبار عادية كان بعت لي أي حد من القبيلة, لكن ييجي بنفسه! الموضوع كبير.

اتكلّم أخيرا وقالي إنه خلاص وجودي هنا ملوش فايدة وجي الوقت عشان اروح للمرحلة التانية, حسبت في دماغي الفترة اللي قضيتها كمعالج واللي كانت تقريبا 8 شهور وكام يوم, ولما عرف إني بحسب الفترة اللي قعدتها قالي إن الفترة دي كانت قابلة للزيادة أو النقصان حسب مهاراتي وسرعتي في التعلم.

سكت متكلمتش بعدها افتكرت أمي اللي لوحدها وطلبت منه بسرعة إني ارجع لحياتي الطبيعية كام أسبوع عشان افصل من التجربة اللي عشتها لإني حرفيا نسيت إني جيولوجي وليا

اكتشافات وبحضر مؤتمرات وبدأت أصدّق إني معالج خبير بمارس المهنة من سنين مش فقط 8 شهور.

"برهام" هز راسه بالممموافقة وهو بيتفحصني بعينه كإنه شاكك في مقدرتي على اللي جاي, هل هقدر عليه ولالا, وكان آخر حاجه قالهالي قبل ما يختفي إنه هيتواصل مع "شدام" وهو اللي هينقلني للمكان الجديد اللي هتعلم فيه.

مكان جديد! قولتها في نفسي بعدين ما اهتمتش, المهم إن دلوقتي خلاص هرجع لطبيعتي وأمي وشغلي اللي وحشوني جدا, خلصت باقي الحالات الموجودة في عجالة وقولت بعدها لعم جابر إني مسافر لرحلة ممكن تطول, واعطيته حسابه وإيجار البيت لمدة 3 شهور وقولتله لو مرجعتش بعد 3 شهور رجّع البيت لصاحبه, واتغاضيت عن نظرات التساؤل اللي وجهالي وطلعت أوضتي.

حلقت دقني وغيرت هدومي لبست اللي جيت بيها أول مرة, أينعم ضاقت عليا شوية من القعدة لكن الاختلاف مكانش ملحوظ قوي, استدعيت شدام وقولتله رجعني بيتي, مدّ لي إيده ولمستها وخلاص لحظة كنت في أوضتي في بيتي, والجن المتشكل بصورتي بمجرد ما شافني رفع ايده بابتسامة واختفى.

كنت عايز اروح لأمي أصحيها لأي سبب, لكن استسخفت الفكرة وقولت الصباح رباح, ونمت الليلة وأنا بفكر في جملة برهام الأخيرة وخصوصا لما قال المكان الجديد.

في الأسبوع الخامس سمعت شدام بيهمسلي في الصبح وبيقول إن دا اليوم الأخير ليا, وبالليل هياخدني للمكان الجديد حسب تعليمات "برهام".

"وادي الأرنت"

قبل المغرب بشوية كنت واقف قصاد وادي ضخم, المكان مكانش مخيف لكن مكانش مريح, الريح فيه ما بتهبّش, بتتزق كإن حد فاتح له سكة, حتى الرمل مكانش بيتحرك في الهوا, كان بيزحف على الأرض, شدام وقف ورايا وقالي هتدخل لوحدك, الوادي ده ما يقبلش غير واحد, وأنا هفضل مستنيك هنا لحد ما تخلص, كان بيقولها كإني هقعد ساعة أو يوم, مع إني عارف إن الوقت ممكن يطول ويطول جدا..

سألته ليه مردّش, اختفى وسابني واقف قصاد فراغ عامل زي الفم المفتوح.

ودخلت..

أول حاجه حسيتها إن الصوت اختفى..

خطواتي مكانش ليها صدى..

كإني ماشي فوق قماش مش فوق رمل وصخور..

مشيت وأنا ببص حواليا, خايف ومش خايف, لحد ما وصلت عند صخرة قعدت عليها واستنيت اللي هيحصل, طلّعت مياه وشربت وفي نص الشرب سمعته بيقول ما تشربش كتير, اللي في الوادي ده بيفك اللي جوه الإنسان,,

سمعت صوته قبل ما اشوفه, رفعت عيني لقيته قاعد على حجر كإنه جزء منه, عجوز ضهره محني وعينه الشمال أغمق من اليمين, ماسك عايه في إيده لكن العصاية ما كانتش بتلمس الأرض!

قال إنت اللي باعتك جنيك؟

هزيت راسي..

ما قالكش اسمي؟

قلت: قالي عجوز من جن العهود.

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال يبقى لسه مخانكش, سكت شويه وقال اللي بيتعلم هنا مبيتعلمش عشان القوة, بيتعلم عشان يعرف حدوده, مبيتعلمش عشان يبقى معالج, بيتعلم عشان يعرف يسيطر على اللي حواليه.

عرفت ساعتها إن الرحلة دي هتلعمني إزاي اتعامل مع الجن من غير ما اضيّع نفسي.

أول ليلة في وادي الأرنت مكانتش سهلة, الجني طلب مني أنام وصباح تاني يوم هنبدأ التدريب, فيه شيء غريب في المكان بيمنع النوم أو بيمنع الراحة, مفيش حاجه تخوّف لكن عدم النوم والتركيز المبالغ فيه مع كل حركة طبيعية بتحصل في الوادي يعتبروا في حد ذاتهم شيء يخوف.

تاني يوم الوادي كان ساكت سكوته المخيف, الضباب بيتحرك بين الأشجار وكل صوت صغير بيتضخم في ودني كإن حاسة السمع عندي زادت عشر أضعاف, جن العهود ظهر قدامي, قلبي دق بسرعة غصب عني وهو باصص عليا وساكت, باصصلي بهدوء وأول سؤال سألهولي

جن العهود كان بصوت هادي ومخيف, "انت فاكر إنك شفت طاقة الروح قبل كدا؟"

بلعت ريقي, افتكرت الشهر اللي قضيته مع برهان وخصوصا جزئية الطاقة الروحية اللي اتعلمتها منه وكشفهولي, وقتها قدرت اشوف الهالات اللي حوالين الناس, كنت بعرف مين فرحان ومين زعلان, مين روحه فيها حيوية ونشاط ومين روحه فيها كسل وخمول, كنت بحس بالذبذبات اللي بتخرج من كلام اللي قدامي واعرف إذا كان الكلام دا صدق ولا كذب, كنت حاسس إني عرفت كل شيء عن الطاقة الروحية, لكن سؤال جن العهود وبالطريقة دي خلاني اتأكد إن فيه حاجات معرفهاش, وإن كل اللي علمهولي برهام يادوب مجرد قشور في علم الطاقة الروحية.

هزيت راسي بالنفي, بعدها سكت شوية وقال "الطاقة الروحية مش نور, ومش ضلمة, الطاقة الروحية حضور خفي.

فجأة الأرض تحت رجلي سخنت, مكانتش سخونة نار, كانت سخونة طالعة من تحت, من جوه الوادي نفسه, وزي ما تكون السخونية استدعت الضباب اللي بيتحرك بين صخور الوادي بدون وجهة ولا دليل.

بدأ الضباب يلف حوالينا بشكل دايرة, بدأ بضباب خفيف بعدها بدأت كثافته تزيد وتعلى واحنا في النص, السخونية بدأت هي كمان تزيد كإنها مركزة في الدايرة اللي احنا واقفين جواها.

جسمي بدأ يعرق, ضربات قلبي زادت, جن العهود قرّب مني وقال " كل بني آدم جوّاه مخزن طاقة بس مقفول, أنت اللي اتعلمته خلّاك بس تخبط على الباب, إنما معايا هنا ..هخليك تكسره"

سكت لحظة وبعدين بصلي بصّه خلت ضهري يتشد وبطني تتسحب للأمام وقال "بس لازم تدفع, في وادي الأرنت كله بيحاسب لنفسه, مفيش حد بيحاسبله"

وقبل ما اسأله إيه التمن؟ سمعت همسات, مش صوت واحد, آلاف الخمسات طالعه من الجبل, من الأرض, من الهوا نفسه, كلمات مش مفهومة بس وقعها على روحي تقيل جدا لدرجة مكنتش مستحملها وحسيت بعضلات جسمي بتتقطع وفجأة شفتهم..

ظلال..

مش أشباح, مش جن واضحين لا, أشكال طاقة كإن الهوا نفسه بيتشكل وبيبقى هيئة, جن العهود رفع إيده والضباب اتقسم نصين وقال "دي الطاقة الخام" وشاور ناحية مكان في الوادي بدأ يتشكّل من اللاشيء..

بصيت على الناحية اللي بيشاور فيها وشوفت حاجه شبه النهر بس مش مياه, نور غامق, نور أسود بيتحرك, ولو عايزين تعرفوا إزاي نور وفي نفس الوقت أسود فصدقوني حاولت ألاقي كلام أوصفلكوا بيه المشهد لكن فشلت, شيء مينفعش يتشرح, يتشاف وبس.

حد إيده تحت دقني ورفعه لفوق وقال "الطاقة الروحية ليها تلات أسرار محدش من الإنس يعرفهم كاملين"

قلبي بدأ يدق أسرع..

"أول سر, الطاقة مش بتتولد .. بتتحول"

حسيت بكل خوف, كل حزن, كل كره وغل, كل ضعف حسيت بيه ومر عليا في حياتي, حسيت إنهم بيتجمعوا حواليا.

قال "الخوف طاقة, الغضب طاقة, الذنب طاقة, حتى الحب طاقة, الفرق إن فيه ناس بتغرق فيها وناس بتشكّلها"

مد إيده ناحية صدري, ملمسنيش, لكن حسيت بحاجه بتتسحب مني, ألم, بس مش ألم جسدي, كإنه بيطلع أسوأ حاجه جوايا, صرخت صرخة كبيرة وهو بعدها ابتسم.

"الطاقة الروحية ليها وعي"

فجأة الظلال اللي حوالينا واللي مازالت بترقص وتلف في كل مكان بدأت تقرب مني, حسيت إنهم بيقيسوني, بيشموني, بيختبروني.

"لو أنت ضعيف هتاكلك"

واحده من الظلال دخلت صدري, وقعت على ركبي, وبدأت اشوف ذكريات, حاجات كنت ناسيها, مواقف كسرتني, لحظات كنت فيها أضعف ما يمكن, حسيت إني اتنقلت من مكان لمكان تاني مختلف, مكان غير الوادي اللي أنا موجود فيه, سمعت صوت جن العهود جاي من بعيد بيقول " لو سبتها تسيطر هتبقى عبد للطاقة, لكن لو سيطرت عليها هتبقى سيدّها "

اخدت نفسي طول..

بدل ما اهرب من الذكرى واجهتها..

بدل ما ارفض الخوف اعترفت بيه..

النور الأسود اللي قدّامي بدأ يهدى, الظل خرج من صدري بس المره دي كان أصغر وبخروجه كنت برجع للوادي من تاني.

جن العهود ابتسم ابتسامة خفيفة وقال "بدأت تفهم"

بصيت في عينه وأنا بحاول استجمع طاقتي واقف على رجلي وبعدها سألته, والسر التالت؟

سكت..

الوادي كله سكت..

هتى الهمسات والظلال اللي بتتحرك حوالينا سكتوا..

قرّب مني لحد ما صوته بقى جمب ودني وقال بهمس

"السر التالت إن فيه طاقة أقدم من الجن نفسهم" حسيت قلبي وقف للحظة "طاقة لو صحيتها لا أنا ولا اللي قبلي نقدر نسيطر عليها"

"تعرف إيه عن القرين؟" سألني بنظرة اللي هي قول كل اللي تعرفه عشان أزودلك عليه,

اتكلمت وقولت كل اللي اعرفه عن القرين, قولت إنه الصندوق الأسود بتاع أي بني آدم, الجاسوس اللي مبيسيبوش لحظة من يوم ولادته لحتى قيام الساعة, حتى يوم وفاته بيكون قاعد قدام قبره مستنيه يخرج للبعث.

ابتسم ابتسامة رضا وقال "النهاردا هعلمك إزاي تتحكم في قرين اللي قدامك"

سألته يعني هسمع صوته وأعرف أسراره؟ وفكرت في الشيء دا اللي كان نفسي امتلكه من وقت ما اتعاملت مع الجن واتعلمت منهم, المهمة دي كان مكلف بيها "آزور" وكنت بعرف منه قصة أي شخص بيدخل عندي للعلاج من قبل حتى ما يتكلم, مكنتش مصدق إن حان الوقت لامتلاك القدرة دي.

شاور بإيده جمبنا واحنا واقفين وظهرت مراية قديمة مكسورة ومغروسة في الرمل, بتلمع بلون أسود عجيب, وقال بصوته المبحوح "انت فاكر إن الجن اللي بيخشوا الأجسام دول شطار؟ دول غلابة بيدخلوا من الخروم اللي بيفتحها القرين, القرين هو المفتاح وهو اللي معاه السي في بتاع صاحبه لو قدرت تروضه المريض قدامك هيبقى كتاب مفتوح وأسراره كلها تظهرلك"

الحماس زاد جوّايا وحواسي كلها بدأت تنتبه وتركز في كل كلمة هيقولها جن العهود, بعدها ابتسم كإنه عرف اللي جوايا واللي بقوله لنفسي وقال " بس قبل ما تتعلم إزاي تتحكم في قرين اللي قدامك, لازم تتحكم في قرينك الأول, الساحر اللي عايز يإذيك أو يكسرك مش هيدور عليك في الدنيا, هيدور على نسختك اللي جوه, على قرينك, والقرين خاين بطبعه, لو اتسحب بكلمة أو بخور هيقولهم انت بتخاف من إيه وإيه العقد اللي في روحك ونقاط ضعفك, عشان كدا النهاردا هنلبّسه اللجام"

سألته يعني إيه هلبسه لجام, هخليه يخرس خالص؟

قال "لأ, لو خرسته خالص هتتجن, القرين هو اللي بيحرّك غرايز جسمك, احنا هنعمله حجب التردد"

شاور على المراية اللي في الأرض وفي نفس اللحظة اتكسرت واتحولت لسبع مرايات صغيرين شكلوا دايرة وأمرني اروح اقعد في نص الدايرة دي, قعدت وبصيت في المرايات وشوفت وشي وهو معكوس من كل اتجاه.

قال "ردد ورايا, حجبت ظلّي بظلالي, فلا يُرى لي أثر, ولا يُسمع لي خبر"

رددتها وراه وأنا بشوف وشي في كل مراية بيبدأ يغبش كإن فيه ضباب نزل عليه.

قال "دلوقتي بقى السر الكبير, لازم تدّي قرينك اسم جديد, اسم ميعرفوش الجن اللي شافوك قبل كدا, ودا هيبقى كلمة السر بينك وبين قرينك, ولو أي ساحر في الأرض نده قرينك بأسمه القديم مش هيرد عليه كإنه مسمعتش, لكن لما تندهله انت بالاسم الجديد هيجيلك ويبقى طوع أمرك"

حسيت إن دي أخطر حاجه هعملها في حياتي وفكرت الاسم يكون صعب, ولا غريب, عربي ولا بلغة تانية, حسيت نفسي معرفش أي اسم ينفع, كل الأسماء كانت بالنسبالي سهلة وممكن تتعرف بسهولة, أو حد ذكي يتوقعها مثلا, لما صمتي زاد سألته أختار الاسم دا بناء على إيه؟

قال "اختار اسم لشيء ملوش وجود, أو كلمة إنت بس اللي عارف معناها, وبمجرد ما تنطقها بص ناحية الشمال وسد بإيدك ودنك اليمين وبكدا العهد بيتم"

فجأة لقيت اسم بيتنطط في عقلي كإنه بيطلب مني اختاره, حاولت انساه وانفض دماغي وافكر في اسم تاني لكن كان مسيطر عليا لدرجة خفت إن لساني ينطقه غصب عني, بصيت ناحية الشمال وحطيت إيدي على ودني اليمين ونطقت الاسم دا, وبمجرد ما نطقته حسيت إن وزني

تقل, والصداع اللي كان بيجيلي لما افكر كتير اختفى, كل الدوشة اللي جوه راسي سكتت مرة واحدة.

"قرينك دلوقتي بقى جوه صندوق رصاص, أي ساحر يحاول يوشوشه أو يستنزله هيلاقي حيطه سد كإنك عملت لروحك جدار حماية مشفّر, بس خلي بالك الجدار دا معناه إنك قفلت الباب على نفسك ومش أي جن هيقدر يلاقيك أو يتواصل معاك حتى لو كان غرضه يساعدك, ودا التمن اللي بتدفعه بعد تلجيمك لقرينك"

ماهتمش بالكلام ولا التمن اللي قاله, كان بالنسبالي موضوع تلجيم القرين أهم شيء يخليني محمي من السحرة أو أي حد عايز يإذيني, المرايات لمعت كلها لمعة سودة بشكل سينمائي واختفوا.

وقفت ورجعت وقفت مكاني, لقيته إيده اليمين وشاور بصباعه ناحية الجبل وقال تعالا, وفجأة شوفت كائن باهت ملوش ملامح واضحة وجاي بيجري من ورا الجبل وقعد تحت رجل جن العهود.

شاورلي اقعد قدامه, ووقف جمبنا.. وقال

"البشر بيغلطوا لما يفتكروا إن السيطرة بتيجي بالزعيق, السيطرة بتيجي من الثبات, لو عايز تفتح خزانة أسرار اللي قدامك انسى عنيه خالص وركز في المساحة اللي بين حواجبه, فوق مناخيره بسنتي واحد, دي اسمها (مجمع السكك)"

حاولت اركز في المكان اللي وصفهولي فوق مناخير الكيان اللي قاعد قدامي, وبمجرد ما رمشت سمعت بيزعق

"مترمش, لو رمشت الخيط هيتقطع, لازم نظرتك تبقى ميته, مفيهاش لا استعجال ولا ثقة ولا خوف, تخيل إن عنيك خارج منها شعاع بيخترق النقطة اللي بين حواجبه وبيخترق الجمجمة بتاعته ويوصل للغدة اللي في نص دماغه, النقطة دي هي قفا القرين لو مسكته منها مش هيعرف يكذب"

بدأت ابص في الكيان اللي قاعد قدامي وأركز في النقطة اللي بين عينيه, حاولت اسيطر على عيني بدون رمش, الموضوع كان صعب وعند لحظة معينة جن العهود قعد جمبي وقال "دلوقتي وانت باصص للنقطة دي قول *** ***** **** ******** **** وابدأ اسحب الهوا من مناخيرك بشهيق صامت كإنك بتسحب روحه لعندك, في اللحظة دي هتشوف صورته بدأت تتهز وملامحه تتراكب فوق بعضها, ويظهر وراها خيال باهت ورا كتفه الشمال, ده هو القرين"

نجحت وشوفت كل اللي وصفهولي بالحرف, شوفت قرين الكيان اللي قدامي بيتشكل على هيئة دخان سجاير ورا كتفه الشمال وبدأت اعرف تاريخه مكانش بيكلمني, بس كان بيعرض شريط زي شريط السيمنا للوقت اللي بسأله عنه في بالي.

اليوم التالت ليا في وادي الأرنت اتعلمت حاجه جديدة كنت فاهم إن الجن بس اللي يعرفوا يعملوها..

الوادي يومها كان مختلف عن اليوم اللي قبله, الصخور واقفه بميول غريب كإنها اتحركت من مكانها قبل كدا ونسيت ترجع..

الهوا بيمشي بكسل وبطء كإنه متضايق من وجوده في الوادي..

وقفت أنا وجن العهود اللي ظله مكانش ثابت على الأرض وبيتلوّى زي الدخان, قال بصوت واطي كإنه بيهمس "احنا مش لوحدنا, ودا أول درس"

بعدها مد صباعه ناحية الرمل, الرمل كان ناعم بس فيه خيوط رفيعة كإنها خدوش, وقال "دي مش خطوات, دي آثار مرور"

مكنتش فاهم قصده على إيه لكن بصيت ناحية ما شاور وفعلا كانت فيه خيوط رفيعة جدا محتاجه عين قوية عشان تشوفها, خطوط مش ماشيه في مكان واحد كإن ملهاش بداية ولا نهاية.

بعد ما بصيت وركزت وحس إني شوفت الخيوط فعلا قال "الجن ما بيمشيش زيكم, احنا بنعدّي, وكل نوع بيسيب أثر مختلف"

بعدها غمض عينه وقالي "اقفل عينك وافتح اللي جواك, انا هخليك تعرف آثار الجن"

غمضت عيني وفي اللحظة دي حسيت بوخز خفيف في دماغي كإنها تيارات كهربا خفيفة جدا بتمشي جوايا, فجأة شوفت الخيوط اللي كنت شايفها من لحظات وهي بتلمع بنور أزرق خافت مايل للون الأبيض.

قبل ما افتح عيني سمعته بيقول "دا أثر جني هوائي, المرور بتاعه خفيف متقطع, كإنه بيهرب من المكان"

فتحت عيني وسألته "قولتلي دا أثر الجن الهوائي, فين الباقي؟"

بصلّي ببط, الهوا في الوادي بقى أتقل بعدها قال "كويس إنك سألت, يبقى لسه بتفكر"

مد إيده ناحية عمق الوادي وقال"تعالا, بس خليك فاكر, مش كل أثر لازم تشوفه"

اتمشينا مع بعض لحد ما قربنا من صخرة متوسطة الحجم وفيها شق خفيف نازل من أولها لحد نصها, قربنا منها وبص في الشق وقرب منه دماغه وشاورلي أعمل زيّه, وقال "بص من غير ما تلمس"

بصيت وركزت لقيت الهوا حوالين الشق كإنه بيتهز, شبه السراب الحراري اللي بشوفه في الصحرا في عز الصيف, والرمل عامل دواير صغيرة كإنه اتحرق ورجع برد, "الجن الناري مبيسيبش خط, بيسيب تشويه"

فجأة الصخرة طقطقت صوت خفيف راح شدني لورا وقال "لو لمست كان الأثر هيتقلب فعل"

مشينا شويه كمان والليل هجم علينا بسرعة, التوقيت في الوادي دا غريب جدا, استحالة تكون الشمس والقمر كل واحدة فيهم بياخدوا 12 ساعة في اليوم..

ضوء القمر وقع على الأرض, إلا بقعة واحدة, مكانش فيه لا صخرة ولا شجرة جمب البقعة دي عشان مثلا تكون ظل لحاجة منهم, شاورلي عليها وقال "شايف؟"

هزيت راسي وقال "ده ظل بلا صاحب, الجن الظلّي لما يمر بيسيب فراغ في الضوء, وطبعا مش أي حد بيشوفه, لكن انت بقيت مؤهل تشوفه"

شوفت بقعة الظل بتتحرك ناحيتي ببطء كإنها تعبان وبيتحيّن اللحظة عشان يهاجمني, قرب مني وقبل ما يوصلني راح جن العهود ضرب الأرض بمؤخرة عصايته والظل اتفكك.

"الظلّي دايما بيراقب قبل ما يقرّب"

رجعنا تقريبا للمكان اللي بدأنا منه, شاور على المكان اللي كانت فيه الخطوط الرفيعة في الرمل وقال "الهوائي أجبنهم بس أسرعهم, أثره دايما متردد"

لاحظت إن الخطوط بتختفي بالتدريج فسألته ليه بتروح؟

قال "لأنه مبيحبش يتشاف"

بعدها وقف يفكر وهو ماسك دقنه ويلاعبها بصباعه من تحت لفوق وأخيرا قال "مش كل جن بيسيب أثر"

سألته وأنا مستعجب إزاي؟

قرّب وشه مني زيادة عن اللزوم وقال "فيه جن اتعلم يمشي من غير ما يسيب حاجه, ودا أخطر نوع"

سكت لحظة وقال "وادي الأرنت شاف منهم"

في اللحظة دي حسيت إن فيه حاجه ورايا..

ملهاش حرارة..

ولا ظل..

ولا أثر..

بعدها سمعته بيقول "بالتعود هتعرفهم وتحس بوجودهم"

الليل في وادي الأرنت مش زي أي ليل تاني, السكوت فيه تقيل, كإنه مش سكوت عادي, كإنه حاجه مستنيه تتكلم

كنت واقف وحاسس بالرملة تحت رجلي باردة رغم إن الجو كان حر طول اليوم, حتى القمر مكانش ظاهر بالكامل, كان ظاهر نصه بس والنص التاني مستخبي ورا جبل أسود, جبل شكله غريب كإنه حد نايم ومغمّض عينه لكنه صاحي من جوّه..

جن العهود كان واقف قدامي, الليلة دي ملامحة مكانتش باينة وواضحة زي باقي الليالي اللي شوفته فيها قبل كدا, كان جسمه شبه دخّان متماسك في بعض وعيونه السودا منوره نور خفيف كإنه بيشفط الضلمة جواها..

قال بنبرة خالية من أي أحاسيس "النهاردا هتعرف الحركة اللي تخليك تشوف اللي ميتشافش, هتتعلم إزاي تفتح عينك التانية, بس افتكر في كل مرة هتستخدمها هتسيب وراك حاجه من إنسانيتك"

بلعت ريقي وقلبي بدأ يدق والفضول زاد عندي, سألته اسمها إيه الحركة دي؟

قال "اسمها نظرة الستر المخفي, بس بينا احنا بنسميها عين العابر"

كنت ناوي اسأله على شيء كمان لكن لقيته مد إيده قدامي في الهوا, وفجأة الهوا اتشق كإنه قطعة ستارة شفافة, من الشق دا بدأ ينزل سائل أسود لامع, مش أسود خالص بس فيه لمعه خضرا خفيفة زي زيت بيتحرك تحت نور ضعيف..

السائل منزلش على الأرض, فضل معلق في الهوا, عامل زي كرة صغيرة بتلف ببطء

سألته وأنا مندهش, دا إيه؟

"اسمه مداد الظل, مادة مبتظهرش غير في الأماكن اللي بين عالمين"

حط صباعه في المادة وللعجب الصباع متوسخش ولا المادة لطخته, المادة دخلت جوه الصباع نفسه من الداخل, وبدخولها كان طرف صباعه بيتحول بلون المادة, أخضر باهت, وعروقة هي كمان اتلونت بنفس اللون.

قرّب مني خطوة وهو بيمد صباعه ناحية عيني الشمال وهو بيقول "الطقس دا اسمه ختم البصيرة"

حط طرف صباعه حوالين عيني, وبدأ يرسم دايرة وحاجات مش شايفها, كنت شايفه صباعه بس وهو بيتحرك حوالين عيني في كل الاتجاهات..

أول ما لمس جلدي حسيت ببرودة غريبة, برودة مش بس على الجلد, دي وصلت لجوا دماغي!

كان واضح عليه إنه بيرسم حاجه بتركيز كبير جدا, نظرات عينه وثباتها حسسوني إنه جراح ماهر بيعمل عملية دقيقة ومركز في كل تفصيلة من تفاصيلها, حسيت بخمول في عيني الشمال وإنها لوحدها عايزه تتقفل وتنام دونا عن باقي جسمي, كمل رسم الدايرة وآخر حاجه عملها هي إنه حط نقطه بصباعة فوق جفني.

"قال بصوت واطي "متفتحش عينك غير لما اقولك

وفجأة سمعت صوت طقطقة خفيفة تشبه كدا صوت شقوق خفيفة بتحصل أو كسر خفيف في قزاز.

الدايرة اللي رسمها على عيني بدأت تسخن..

السخونية قلبت بلسعة..

اللسعة اتحولت لإحساس إن فيه شيء بيتزرع جوايا, كإنك حاسس بجسمك العادي وفجأة ركبوا فيه حاجه جديدة وحاسس بيها جديدة جواك ولسه جسمك متأقلمش عليها وكل إحساسك منصب ناحية مكانها..

قال وهو واضح عليه إنه بيتابع اللي بيحصل جوه عيني وهي مقفولة "الختم دا مش بيغيّر شكلك, بيغيّر إدراكك"

وفجأة حسيت إن فيه حركة حواليا, مش سامعها بس حاسس بيها..

قال "افتح"

فتحت عيني ببطء كإن لسه معمولها عملية, الوادي كان هو هو بس فيه دايرة نور خافت حوالين كل حاجه.

الجبال كان ليها ظلّين, واحد طبيعي, وواحد بيتماوج حواليه!

بصيت على جن العهود .. وشه بقى واضح .. واضح زيادة عن اللزوم.

.شايف طبقة ورا وشه .. كإنه لابس قناع والوش الحقيقي مش وش عادي خالص

مد إيده قدام عيني, وفي الهوا ظهرت خيوط رفيعة متشابكة شبه خيوط العنكبوت وقال "دي "الروابط, كل كائن ليه أثر, واللي اتختم بختم البصيرة يقدر يشوف الأثر

بصيت تحت رجلي, كان فيه آثار ماشيه جمبي وحواليا بس مفيش حد, آثار كانت بتلمع بنفس لون المداد اللي اللي رسم بيه حوالين عيني, قلبي دق وسألته بسرعة, يعني أنا كدا شايفهم؟

"ابتسم لأول مرة ورد "انت شايف اللي بيسيبوه, ولما تركز أكتر هتشوفهم هما

فجأة الدايرة حوالين عيني نورت لحظة, ومضة, وحسيت إن فيه حد باصصلي من بعييد جدا, !سألته وأنا حاسس إني عملت حاجه غلط, مش أنا بس اللي شايف, أنا بقيت متشاف

"...الختم ما يتمسحش بسهولة, كل ما تستخدمه أكتر ..الدايرة هتغمق, لحد ما في يوم"

سكت, سألته لحد ما فيه يوم إيه؟

"رد بهدوء "لحد ما عينك تبقى بوابة, مش بس بصيرة

الريح اتحركت فجأة والخيوط اللي في الهوا اهتزّت

وكإن فيه حاجه ضخمة عدت ما بينهم, وقتها عرفت إن اللي اتعملي مش بس ختم بصيرة, دا !عهد

..والعهد دايما له تمن

الليل كان تقيل في وادي الأرنت
القمر باين نصه، والنص التاني مستخبي ورا سحابة رفيعة كأنها بتتجسس

كنت واقف قدام نار صغيرة مولعها من حطب السمر، ووشي مشدود
من يوم ما جن العهود فتحليعين البصيرة،وانا شايف حاجات عمري ما كنت اتخيلها ... ظلال بتمشي جوه الظلال... همسات بتيجي من اتجاهات ملهاش اتجاه

وفجأة
الهوا سكن
والنار وطت كأنها بتسلم

وظهرجن العهود

لا دخان ولا فرقعة بس كأنه كان واقف طول الوقت وانا اللي مكنش شايفه

قاله بصوت هادي تقيل
".النهارده هتعرف حاجة أخطر من الطاقة... وأعمق من عين البصيرة"

بلعت ريقي وأنا متشوق للعلم الجديد اللي هيعلمولي وسألته هتعلم إيه؟

لف حواليه ببطء وقال "هعلمك طبقات الجن ورتبهم"

بعدها سكت شويه وبص للسما وكمّل "مش كل الجن زي بعض, زي البشر فيهم العادي وفيهم الوزير وفيهم الحاكم, احنا كمان لينا طبقات"

كنت عارف المعلومات دي بس حبيت أستزيد منه أكتر فسألته كإني معرفش حاجه, يعني إيه طلبات؟

مد إيده ناحية الرمل وبدأ يرسم دواير جوه دواير والرمل بيتحرك مع حركة صباع جن العهود, وقال "بص كويس, أول طبقة, هي الجن العابرين"

الدائرة الخارجية نوّرت نور باهت وكمل "دول اللي عايشين قريب من عالم البشر, وجودهم خفيف وتأثيرهم ضعيف, يقدروا مثلا يوسوسوا أو يحركوا حاجات صغيرة, أو مثلا يظهرولكوا في الكوابيس والأحلام"

هزيت راسي موافق وكملت, دول اللي بيسكنوا البيوت القديمة واللي بنقول على البيت إنه مسكون لما يسكنوه.

ابتسم ابتسامة خفيفة وقال "أيوه بس مش كل إحساس يبقى جن, أحيانا الخوف بيخلق أوهام مش موجودة والناس تفتكرها على إنها جن"

الرمل لف تاني والدايرة اللي بعدها نورت بلون أغمق

"الطبقة التانية جن الأثر"

حسيت بقشعريرة..

"دول بقى اللي بيعرفوا يسيبوا علامة في المكان, ريحة غريبة, حرارة مفاجئة, حيوان بيتصرّف بغرابة, دول ليهم قوة تأثير أعلى ووجودهم أقدم"

قولتله تمام كدا كدا أنت علمتني إزاي أفرّق بينهم, رد وقال "أيوه بس أكتر حاجه هتحس بيها هي التوازن, هتحس إن المكان طاقته مش متوازنة, مش ثابتة"

الرمل اتحرك للمرة التالته, والدايرة بقت أضيق وأغمق

"الطبقة التالتة, أصحاب العهود"

رفعت عيني فيه وسألته بسرعة, دول اللي زيك؟

سكت شوية وبعدها قال "أيوه, احنا اللي بنحفظ قوانين العالم الخفي, لينا علم ولينا حدود نقدر نعلّم, لكن مبنتدخلش في مصير"

قامت نسمة هوا خلّت بعض حبيبات الرمل تلف حوالينا في دايرة

"فوق الطبقات دي, فيه الرتب"

بدأت انتبه واركز أكتر لإنه قالها بنبرة فيها كتير من الحكمة

رسم خط طولي قسم بيه الدوايرة
"أول رتبة السامع..اللي يقدر يسمع همس العوالم"

"بعده الرائي, اللي يقدر يشوف ما وراء الحجاب"

سألته وأنا, بص في عنيا وقال "أنت من الإنس, بس وجودك هنا مش عادي, عينك اتفتحت على عالمنا ولسه قلبك بيتعلم تشوف وتفهم, السامع والرائي دول رتب للجن وانت بين الاتنين لإنك إنسان شايف بعيون الجن"

النار عليت فجأة

"أعلى رتبة الحافظ"

دا اللي يعرف أسرار الطبقات كلها, ويقدر يتحكم في حضوره, يختفي حتى عن عين البصيرة"

سألته بخوف, وفيه أعلى من كدا؟

سكت, سكت كتير وفي الآخر قال "فيه, بس مينفعش تعرف دلوقتي"

فجأة جن العهود ضرب الأرض بالعصا بتاعته, والرمل اختفى, والوادي بقى ساكت خالص بعد ما كان بيتهيئلي إنه كان سامع الكلام بتاعنا وحاضر معانا

"اختبارك النهاردا بسيط"

أول مرة يعملي اختبار, شديت جسمي وقولتله قول

"في الوادي دلوقتي... فيه 3 كيانات. واحد عابر... واحد من جن الأثر... وواحد رتبته أعلى منك."

قلبي دق بسرعة

"اعرفهم... من غير ما تستخدم عين البصيرة."

سألته باستغراب, إزاي؟

ابتسم
"بالإحساس... بالخلل... بالصمت."

وسابني واختفى.

الوادي بقى تقيل
والنار بقت تفرقع

قفلت عيني
حسيت بالهوا
بالصمت
بالحشرات اللي فجأة سكتت ناحية الشمال

فتح عيني ومشيت ببطء

الجزء الشمالي من الوادي كان أبرد وقفت... ومديت إيدي ناحية حجر كبير الحجر كان دافي, ابتسمت وقولت دا عابر بيحاول يقلد أثر بس مش ثابت.

لفيت الناحية التانية وحسيت بضغط في ودني, قولت ده جن الأثر, وفجأة حسيت بحاجه بتراقبني, مكانش إحساس بالخوف أو الحرارة, بس كنت حاسس إني مكشوف, قولت بصوت واطي متساءل, دا الحافظ؟

الصوت جي من ورايا بيقول "لأ, لسه بدري على الحافظ"

جن العهود ظهر بس شكله كان مختلف, هيبته أكبر وعينه أعمق

"ده مجرد رسول"

لفيت بسرعة وسألته يعني فيه حد بيراقبني؟

قال "من يوم ما دخلت وادي الأرنت وأنت تحت المراقبة"

سكت شوية بعدين قرب مني وقال "العلم مش قوة, العلم مسؤولية ولو عرفت طبقات الجن لازم تعرف طبقات نفسك"

القمر خرج كامل ورا السحابة, والوادي نور نصه والنص التاني فضل في الضلمة, والمعلم اختفى.

الليل في وادي الأرنت مكانش شبه أي ليل عدا قبل كدا, السما مفيهاش نجوم مع إنها كانت مفتوحة, والهوا كان بيمشي ببطء كإنه مستني حاجه تخلص, وأنا كنت واقف على حافة الجرف, نفس المكان اللي وقفت فيه هنا لما جيت أول يوم, لما كنت تايه.

جن العهود كان واقف ورايا, مكانش ظاهر بالكامل, كإن نصه في النور ونصه التاني في العتمه, قال بصوت هادي "علمت حاجات كتير حسب اتفاقي مع القبيلة اللي بعتتك ليا, والليلة هي آخر ليلة ليك"

قرّب ناحيتي خطوتين, الأرض تحت رجله اسودّت لحظة ورجعت لطبيعتها تاني, وهو بيقول "وادي الأرنت مش مدرسة, دا مصفاة, اللي بيخرج منه مبيبقاش زي ما دخله"

الهوا وقف خالص حتى صوت الحشرات اختفى, مد إيده ناحية صدري بدون ما يلمسني وثبتها فوق صدري كإنه بيبث فيا حاجه, حسيت بحرارة خفيفة بتتكون تحت جلدي, زي شعلة نار وبتكبر بالتدريج بعدها حسيت بعلامة بتتحفر فوق جلدي, كنت عارف شكلها وهي بتترسم تحت ملابسي.

جن العهود بعد ما خلص ونزل إيده قال "دي مش قدرة, دي تذكرة عبور"

خلص جملته الأخيرة وقبل ما اتكلم فجأة الأرض اهتزّت, مكانش زلزال لا, كانت حاجه بتفتح, ومن نص الوادي الضباب بدأ يلتف في دوامة, الشجر انحنى لقوتها, مش من قوة الهوا بتاعها لكن قوة الهيبة, ومن قلب الضباب ظهروا أربع ظلال بيقربوا ناحيتنا, مكانوش ماشيين على الأرض, كانت الأرض تحتنا هي اللي ماشيه ناحيتهم من فرط هيبتهم وقوتهم, كيانات مكانوش من طبقة عادية, الهوا حواليهم كان تقيل كإن المكان نفسه خايف من وجودهم.

سمعت صوت واحد منهم بيتكلم بدون شفايفه ما تتحرك "انتهي التدريب"

بصيت لجن العهود مستنيه يقولي أي حاجه أو يشرحلي اللي بيحصل دا ومين دول, لكنه كان صامت وواقف باصص ناحيتهم بوقار واحترام, وقال بصوت يادوب سمعته "كل عهد بييجي يوم ويتطلب"

الأربعة قربوا منا لحد ما بقوا قصادنا مباشرة, واحد منهم مد إيده وهو فاتحها على اتساعها وقربها مني وهو بيقفلها وفي لحظة واحدة الوادي اختفى.

قفلت عيني في اللحظة اللي مد إيده ناحيتي ولما فتحتها لقيت نفسي في مكان جديد, محسيتش إني اتحركت خطوة, لكن بعد ما فتحت عيني شوفت نفسي واقف في مكان أوسع من الوادي اللي كنت فيه, سقف مش باين نهايته, أرض سودة لامعة كإنها مراية وظلي معكوس فيها, وفي النص دايرة محفورة بنور خافت حواليها سبع مقاعد عالية, وكل مقعد عليه كيان قاعد.

واحد منهم اتكلم
"التلميذ الخارج من وادي الأرنت"

التاني قال

"أتم 8 شهور من العلاج"

التالت قال

"لم يفقد السيطرة"

الرابع قال

"لم يتمرّد"

حاولت أتكلم بس صوتي خرج ضعيف جدا ويادوب مسموع, سألت أنا هنا ليه؟

المقعد اللي في النص اتحرك للامام وظهرلي اللي قاعد عليه, كان "برهام", حضوره وقوته كان واضحين إنهم يختلفوا عن اللي حواليه بشكل كبير جدا لإنه قائد القبيلة, قالي "الشفاء مرحلة, لكن قبيلتنا لا تبقى بالشفاء"

الدايرة اللي أنا وقف عليها نورها بقى أقوى وبرهام كمل كلامه وقال "تبقى بالميزان"

فجأة ظهر في الدايرة اللي أنا واقف عليها مشهد لبيت, بيت للبشر, وفي أوضة ضلمة شموع متوزعة حوالين دايرة مرسومة بالدم, وفي ركن الأوضة طائر مدبوح ودمه مستخدم كمداد للرسومات اللي على الأرض, وفي نص الدايرة قاعد شاب صغير في السن ميكملش عشرين سنة.

قلبي اتقبض من المشهد وعرفت من الرسمة وقعدته إنه أول مرة يعمل كدا وبيحاول يعمل طقس من طقوس التحضير لأول مرة, كان واضح جدا إنه ميعرفش بيعمل إيه ولسه جديد, صوت كيان اتكلم وقال "ده إنسان", رديت عليه وقولت شايف, كنت حاسس بشيء لا يبشر بالخير من نبرته, المشهد اتحرك تاني واتحول لرجل كبير لابس جلبيه بيضا قصيرة لحد الركبة منقوش عليها طلاسم باللون الأسود, ماسك كتاب قديم وبيتمتم بطلاسم مش من لغة البشر, الدايرة نورت أقوى والصوت قال "استدعى من طبقة أعلى, وكسر الحجاب بين عالمين بإرادته" قلبي دق بسرعة لما سمعت صوت تاني بيقول "لما بشر يستدعي من غير إذن, الميزان بيختل"

صوت تاني قال "احنا لا نتدخل في كل استدعاء, ولا كل سحر, لكن فيه حدود"

المشهد اتغيّر, الشاب اللي ظهر في البداية جسمه بدأ يترفع عن الأرض, الكيان المستدعى بدأ يتمدد, مش شرير لكن أقوى من المكان وكان واضح إنها نهاية البشري.

صوت جديد قال "البشر أضعف من إنهم يتحملوا طبقات أعلى بدون معرفة"

سألتهم وأنا مش فاهم إيه المغزى من دا كله وقولتلهم المطلوب مني إيه؟

القاعة كلها سكتت وحسيت إن اللي موجودين كلهم مركزين عيونهم عليا مع إني مش شايفهم, وفي الأخير اتكلم برهام وقال "انت من النهاردا منفّذ أحكام"

صمت..

حاولت استنبط معنى كلامه وأنا بسأل نفسي منفذ أحكام؟ وبكررها جوايا أكتر من مرة عشان أفهم معناها اللي بيرموا ليه..

"أي إنسان يتجاوز حدوده مع عالمنا, أي ساحر يستدعي مالا يقدر عليه, أي عهد يكسر عمد بين بشر وجن .... أنت تتدخل"

كنت حاسس إن دوري في قاعة الجن انتهي والمفروض أخرج منها, بس مكنتش عارف أروح فين, وبمجرد ما بصيت حواليا عشان اشوف المخرج فين شوفت باب اتفتح من العدم, ومع الصمت اللي عم المكان عرفت إنها إشارة للسماح ليا بالخروج.

اتمشيت ناحية الباب وبدأت اشوف اللي وراه, كان جسر طويل عيني مش شايفه نهايته, خرجت منه وأنا بسمع صوت الباب وهو بيتقفل ورايا, صوت تقيل كإنه مش صوت باب, كإنه صوت حكم تم تنفيذه برضاء جميع الأطراف.

وقفت لحظة وأنا بحاول استوعب اللي حصل معايا بالداخل, واستوعب كمان اللقب اللي اخدته أو الشغل اللي بقى من اختصاصي, وبكرر جملة "منفذ أحكام" بقولها وأنا مش عارف ازاي وافقت عليه, شيء جوايا يقولي إني وقعت في مصيبة وشيء تاني يقولي هي مصيبة بس مش كبيرة قوي.

شدّام ظهر جمبي في هيئة مختلفة عن آخر مرة شوفته فيها, وكان له ظل طويل لونه أزرق داكن, وعينيه فيها شرارة نار بتوحي بقوة جديدة اكتسبها, بعدين افتكرت إن شدّام دا تابع ليا في كل حاجه حتى في القوة, يعني زي مانا ازددت معرفة وقوة, أكيد هو زاد زيي بالمثل.

ابتسم وقال بنبرته الساخرة "مبروك المنصب الجديد يا سيدي, هبقى سيفهم"

مرديتش عليه لكن بعد لحظة قولتله أنا حاسس إنهم اختاروني عشان اعمل اللي هما مش عاوزين يتلوثوا بيه!

مردش عليا, كملت طريقي وبعد خطوتين سمعت صوت واحد منهم بيناديني من داخل القاعة, صوت كان هادي بس بيشيل ثقل جبال.

"المنفذ لا يمشي وحده"

الهوا في القاعة اتكسّر ومن بين الشقوق خرج كيان قوي, مكانش زي شدام, لا ظل ولا نار, كان أقرب لإعصار مربوط في جسد, شدام نفسه وقف جمبي وهو مذهول من المشهد اللي بيشوفه قدام عيني وبيقولي أو بيقول لنفسه بصوت واطي, دا "مرهوب" جن من طبقة المحاربين القدماء, اتحبس من سنين طويلة عشان كان بيبالغ في تنفيذ الأحكام.

صوت من داخل القاعة بيقول "مرهوب في خدمتك في المعارك, لكن لو فقدت السيطرة عليه هيبدأ بيك أنت"

مرهوب اختفى من القاعة وفي لحظة اتحول لدخان أسود جري ناحيتي وركع, بسرعة خلتني ارجع خطوة لورا بدون ما احس, مش عارف هل عمل كدا عشان يخوّفني ولا عشان المفروض فعلا يعمل كدا!

كان باين من ركوعه انه مش ركوع احترام, ركوع اعتراف بالقوة, حسيت وقتها إن السيف اللي أنا ماسكه بقى تقيل ومهمتي بقت أصعب وأصعب.

رجعت للعالم بتاعي ولشغلي اللي تقريبا نسيته بس ما زالت بحبه, لإني بقعد أيام في الجبال والمحاجر بعيد عن الناس, بس كان إحساسي مختلف باللي حواليا, الجن اللي ساكنين في الجبال كانوا بيخافوا مني أو عاملين حاجز بيني وبينهم مساحة كيلومترات مينفعش يقربوا منه أو يكسروه, هل دي حدود قوتي؟

كنت لما ارجع أجازة احب اخرج لوحدي واتمشى على أطراف المدينة, كنت براقب الناس واسمع شكواهم وانا ماشي بين البيوت, الحواس بتاعتي بقت أقوى جدا, كنت بحس بالمعالجين واعرف أماكن السحرة والنصابين, كنت بشوف ظلم البشر لبعض واسأل نفسي سؤال رددته كتير, هو أنا هحاكم مين في عالم مليان خطايا؟!!

أيام كتير عشتها بدون ما يبعتولي حاجه, مهمة مثلا أو أي شيء يحسسني إنهم لسه فاكريني, كنت بسأل نفسي يا ترى أول مهمة هتكون إيه وشدة صعوبتها إيه؟ بس كنت برتاح إنهم لسه مبعتوليش حاجه, حتى شدام مكانش بيكلمني كتير, فكرّت كتير أكلم مرهوب واعرف منه ماضيه ومعلومات كتير عنه لكن كنت براجع نفسي واقول لا, خليني عايش في العالم بتاعي شويه, أنا مستعجل على إيه!

وفي ليلة هادية وأنا بتمشى, شدام ظهر جمبي وقال فيه حاجه جايه, الهوا قدامنا اتشق زي ورقة بتتحرق ببطء وخرج منه طائر أسود مصنوع من دخان, نزل قدامي واتحول لخطاب ملكي ملفوف اتفتح وسمعت منه صوت رخيم بدون مصدر

"إلى المنفّذ, في قرية البشر ***** إنسان يعالج الناس بعهد دائم مع جني من سلالة العهود

العهد لم يسجل..

القوة منحت بلا إذن..

القانون كسر, والحكم واجب التنفيذ"

الرسالة اتحرقت في الهوا ببطء, وكل شيء سكت.

شدّام أول واحد اتكلم وقال بنبرة فيها تعجب, سلالة العهود؟ دي سلالة معلمك!

مرديتش عليه لكن كنت بفكر وسرحان ومصدوم كإني أول مرة أعرف اني بقيت "مُنفّذ"

بعد لحظات قولت بهدوء, يبقى القضية دي مش صدفة..

حسيت بحضور تقيل وألم خفيف في كتفي الشمال ظهر بعدهم مرهوب وهو بيضحك ضحكة خشنة قصيرة وقال "أول مهمة وخيانه من عشيرة أستاذك.. واضح إنهم بيختبروك"

قولت لشدام خدني للقرية اللي ذكروها في الرسالة, مديت إيدي ولمست إيده وفي ثانية كنا احنا التلاتة هناك..

قرية بسيطة, ناسها غلابة, مرضى, خوفهم من العالم كان أكبر من خوفهم من الجن والعفاريت.

مشيت بين الناس اعرف اللي بيقولوه جواهم, وعرفت إن المعالج اسمه سالم, راجل في الأربعين, محبوب بين الناس, بيعالج الناس بدون فلوس أحيانا لكن في كل مرة بيفك سحر كان بيتمتم بكلمات مش بشرية, أو كلمات مش مسموحله يستخدمها..

الليل نزل على القرية زي بطانية سوده, البيوت طين والريح بتعدي بينها تصفّر, ونور خافت طالع من أوضة صغيرة في طرف البلد, أوضة سالم.

كنت واقف فوق سطح بيت قديم براقب سالم وشدّام ملفوف حواليا بدخان أسود يحجب الرؤية عني, ومرهوب واقف بعيد على طرف السطح التاني, ساكت بس حضوره تقيل يخليك تحس إن فيه حجر محطوط على صدرك.

من الشباك الصغير المفتوح شوفت سالم قاعد قدّام بنت صغيرة جسمها مولّع من السخونة وأمها راكعة جمبها وبتقول والنبي يا شيخ سالم ملناش غيرك, سالم وشه مرهق, عينه غايرة من قلة النوم, مد إيده في جيبه وطلّع الطلسم الأحمر, أول ما الطلسم اتفتح الهوا اتشد ولو كانت فيه كاميرا موجودة كانت هتعمل زوم على الرسمة المنحوته عليه, دوائر متداخلة وخطوط شبه قيود وختم صغير في النص عليه علامة العهود.

شدام همس, الختم دا مش متسجل في السجلات ومش مسموحله يستخدمه.

ركزت عيني وشوفت اللي البشر مش بيشوفوه لما يروحوا لساحر عشان يعالجهم, خيط نور أزرق رفيع نازل من سقف الأوضة وواصل للطلسم ومن الطلسم لقلب سالم, رابط مباشر..

سالم بدأ يتمتم بكلمات تقيلة, قديمة, بلغة مش عربية..

الشموع حوالين الطفلة بدأت تهتز, واللهب يميل يمين وشمال كإن فيه حد بيعدي من وسطهم, الطفلة صرخت فجأة بصوت مش صوتها والأم شهقت من الخوف, وفي سقف الأوضة حصل شرخ رفيع جدا زي خدش في مراية ومن الخدش ظهرت عين زرقا بترمش ببطء..

لحظتها قلبي دق بعنف, سالم مش بيعالج, دا بيستخدم كيان قديم بيوهمه بالخير والعلاج لحد ما يتشكّل في هيئته الكاملة وبعدين لا سالم ولا غيره هيقدروا يسيطروا عليه ولحظتها الميزان هيختل وقوانين كتير هتتكسر عشان يرجعوا ميزان القوة لطبيعته من تاني..

سالم رفع الطلسم لفوق وقال بكلمات عربية في الآخر "بعهد قديم وبقيد لا يكسر,اخرجي"

الطفل جسمه اتقوس لفوق بشكل مش طبيعي, ضلوعه بانت من تحت جلده, العين اللي في الشرخ ابتسمت..

نطيت من فوق السطح للأرض بدون صوت, مشيت ناحية بيت سالم وكل خطوة تحت مني كنت شايف الأرض بتسود وبعدها بترجع لشكلها الطبيعي, قوتي تضاعفت بشكل مهول, مشيت ناحية الباب وخبطت, مرة, اتنين.. حسيت بتوتر سالم وهو جوه, ضربت الباب بإيدي اتفتح والأم باصالي مش فاهمه حاجه وسالم وقف ومازال ماسك الطلسم في إيده واللي بينور بنور أزرق, وفوقهم الشرخ بقى أوضح..

العين اتحولت لوش غاضب كامل ونصه طالع من السقف, مرهوب ظهر ورايا بعد ما عرف إن وقته حان, وقال بنبرة رجّت الأوضة كلها "العهد لم يُسجّل"

الوش اللي في السقف بص لمرهوب وقال بنبرة ساخرة "منفذ قديم؟"

شدام اتمدد زي ظل طويل ولف حوالين رجلين الطفلة وثبتها في الأرض, وسالم صرخ بعد كل دا وكإنه مش مستوعب اللي بيحصل وقال انتوا مين؟

قربت منه خطوة وقولتله بثبات, إنت فاكر إنك مسيطر؟ كل مرة بتستخدم فيها الطلسم بتفتحله الباب أكتر..

سالم بص لفوق أول مرة وشاف وش ضخم وجلد متشقق وابتسامة مليانه سنان رفيعة, كان واضح من نظرته إن الكيان هيئته اتغيّرت, وقال بنبرة متردة, أنا, أنا كنت فاكر .., وقبل ما يكمل كلامه الكيان ضحك ضحكة خشنة خلى الشباك يتكسر لوحده..

الشرخ اتفتح أكتر, إيد طويلة رفيعة بدأت تنزل من السقف, وسمعت مرهوب بيقول بسرعة الوقت خلص والحكم واجب التنفيذ..

مديت إيدي ناحية سالم, الأرض تحته نوّرت برمز ضخم, ختم ملوك القبيلة اللي سمحولي باستخدامه, سالم حاول يتحرك بس رجليه اتقيدت بخيوط من خفيفة قوية, الكيان في السقف زعق "هو لي بعهد الدم"

بصيتله وصرخت صرخة قوة "العهد باطل"

شاورت لشدام بإيدي التانية وانطلق زي السهم لف حوالين الإيد اللي نازلة وفي ثواني كانت اتقطعت واتحولت لدخان, مرهوب دخل المواجهة لأول مرة, جسمه بقى أكبر, ملامحه بقت أقدم, وعينه اتحولت لجمر..

مد إيده ناحية الشرخ وشده بقوه, الشرخ حاول يقاوم لكن مرهوب كان واضح عليه إنه أقوى, سحب الشرخ والبيت اتهز كإن مرهوب بيسحب جزء من العالم أو من قوانين الطبيعة, الحيطة اتشققت, الأم حضنت بنتها وصرخت وهي مش فاهمة أي حاجه من اللي بيحصل قدامها..

قربت من سالم وبصيت في عنيه, شوفت ندم وخوف, سألته كنت عايز تساعدهم؟

قولتها بهدوء وسط الفوضى اللي حوالينا, سالم بدأت دموعه تنزل وقال كان لازم حد يعمل حاجه..

لحظة صمت وسط العاصفة, مديت إيدي ومسكت الطلسم اللي في إيد سالم وسحبته بقوه وأنا بعصره بإيدي, الكيان صرخ صرخة مروعة جدا, الشرخ بدأ يتقفل ببطء وهو بيقاوم, مرهوب سحب بقوة أكبر وشدام ثبت الخيوط حوالين الطفلة, وفجأة....صمت....

الشرخ اختفى..

البيت وقع جزء من السقف بتاعه..

الشموع كلها انطفت..

سالم وقع على الأرض والطلسم اللي في إيده اتحول لرماد بعد ما الخيوط الزرقا اللي كانت واصلاه بالقوة اختفت, والهوا رجع عادي..

مرهوب بصلي بصة فيها غضب مكتوم بيحاول يخفيه, وقال كنت قادر تقتله عشان يكون عبرة لغيره.

بصيت للأم اللي مازلت حاضنه بنتها, وقولتله الحكم كان على العهد مش على الإنسان..

مرهوب كتم غيظه وسكت..

شدّام همس, الملوك هيسمعوا باللي حصل..

وفي نفس اللحظة, في عالم تاني, عرش من حجر اسود اهتز

ملك من الملوك فتح عينه ببطء وقال " التلميذ هيكسر القانون "

ملك تاني ابتسم ابتسامة خفيفة وقال "التلميذ اختار الرحمة"

ليل الصحرا هادي, أجمل من أي ليل في أي مدينة مزدحمة بالناس والأضواء, الريح كانت بتمشي فوق الكثبان بهدوء كإنها بتفتش على حد, وأنا قاعد جمب عربية الدفع الرباعي لابس الخوذه وفاتح اللاب الموصّل بأجهزة تحليل التربة, عيني على القراءات لكن عقلي كان مشغول بحاجه تاني..

برهوم, المهمة الأولى اللي كان معايا فيها مكنتش مرتاحله, حسيت لوهلة إني خايف منه لاحتمال تمرّده عليا في أي وقت, بس أكيد مش هيتمرد لإنه اتعاقب قبل كدا ويادوب خرج من السجن فأكيد مش هيعمل شيء غبي يستحق السجن مرة تانيه, وخصوصا كمان معايا أنا.

فجأة وأنا في وسط تفكيري وسرحاني حسيت الأرض سخنت تحت رجلي, مش سخونة نار لا, كانت سخونة طاقة!

شاشة اللاب توب قدّامي شوّشت, والقراءات اتحولت لرموز قديمة عارفها كويس, والصوت جي في ودني, صوت المجلس, مهمة جديدة وصدر الحكم فيها..

الهوا بقى تقيل والنجوم حسيتهم بيختفوا واحدة ورا التانية, شدّام ظهر خلفي كظل طويل وهمس لي استعد الحكم صعب..

مرهوب تجسّد بعيد عني بعدة أمتار على هيئة راجل ضخم بجسم مليان شعر وعيون مبتسمة ابتسامة شر وقال أخيرا حكم يستحق التنفيذ!

بلعت ريقي وأنا بسأل شدام ورايا وقولتله حكم على مين؟

"الإنسان المدعو حازم درويش, تعدّي الحجاب, اصطاد من ليس له أن يصطاد, وأحدث خللا في خطوط العبور"

وفجأة عين البصيرة اشتغلت عندي بدون ما اشغلها انا, ملك من ملوك المجلس له القدرة على السيطرة عليها ومن خلالها خلاني أشوف دائرة حجرية في الصحرا, جن صغير مربوط بخيوط معدنية ووشه كله رعب, صرخة طاقة انقطعت فجأة.

مرهوب قال بصوت غاضب, هو ده.

سألته هو بيعمل إيه؟

قالي الجواب واضح, بيحبس ويتعلم ويقرّب.

الصوت اللي كان بيتكلم في عقلي رجع من تاني وقال كلمة واحدة, الحكم هو الإنهاء.

كان فيه مولد كهربا ورايا بيزن زنة ثابتة موصلين فيه نور كشافات الموقع اللي موجودة فوق الحفارين اللي شغالين في وردية الليل, مجرد ما اتقالت جملة الحكم هو الإنهاء المولد دا فجأة فرقع والأنوار كلها انطفت, وبعدها بثانية اشتغل تاني والأنوار رجعت والشاشة رجعت تاني أرقام طبيعية وخطوط تحليلية ومنحنيات..

واحد من الفنيين نادى عليا من بعيد وقال يا بشمهندي, كل حاجه تمام؟

خدت نفس عميق وقولتله تمام, بس أنا هطلع لوحدي أشوف القطاع الغربي ويمكن أغيب شويه..

ركبت العربية واتحركت في الصحرا في اتجاه شاورلي عليه شدّام, بعدت عن الموقع والأنوار الخلفية للمعدات راحت تصغر لحد ما اتحولت لنقط مضيئة وسط عتمة الليل وسكون الرمل.

الصحرا بالليل صوتها مختلف, مفيش غير احتكاك الكاوتش بالرمل..

مرهوب كان ساكت بس مش هادي, حسيت إنه عايز يقول حاجه, من الطبيعي إني أحس بيه وبمشاعره زيه بالظبط لإنه مربوط بيا وفي خدمتي, قولتله بنبرة ساخرة زي ما بيعمل معايا, احكي.

لكنه صمت وواضح إن نبرتي استفزته..

اتكلمت وأنا بسألهم هما الاتنين ليه متسألوش انتوا توقفوه!

مرهوب رد بسخرية زي ما كلمته بيها من شوية وقال مش كلنا نقدر نتحرك بحرية زيك, إنت الجسر.

العربية بدأت تقطّع, مش عطل ميكانيكي, تشويش..

جهاز الملاحة الموصول بالشاشة اتقلب لخطوط ودواير, والراديو شغّل لوحده همهمة منخفضة, كإن أصوات بتبكي..

وقفت العربية ونزلت, الصحرا هنا مختلفة, مفيش حركة هوا, حتى الرمل شكله مضغوط, كإنه متداس كتير في نفس المكان..

عين البصيرة اتفتحت نص فتحة وشوفتهم, نقط ضوء صغيرة جدا متحركة تحت الأرض, زي شرارات محبوسة, وفوقهم شبكة..

شبكة محفورة في التربة مربوطة بأوتاد معدنية لونها أسود..

مرهب همسلي وقال فخ حضانة!

سألته باستغراب حضانة إيه؟

شدام قال بصوت هادي, فيه أماكن معينة بتجمع الصغار آمنين بعيدا عن صراعات الكبار.

فجأة سمعت صوت من ورايا بيقول, كنت عارف إنك هتيجي.

لفيت وشوفت حازم واقف على بعد خطوات, لابس معطف صحراوي طويل, ملامحه هادية مش متوتر ولا خايف..

قال بنبرة متشككة, انت المنفذ؟

قولتله بصوت هادي, أيوه والحكم صدر عليك من المجلس.

الغريبه إن كلامي مأثرش عليه ولا شوفته خاف أو اتهز, كان ماسك في إيده جهاز صغير شبه التسجيل القديم متوصّل بسلك رفيع رايح لبرميل معدني مدفون نصه في الرمل.

مرهوب صرخ فجأة وقالي اوعي تتحرك..

سألت حازم بحذر إنت بتعمل إيه؟

ابتسم ابتسامة مفيهاش أي تعاطف وضغط على زرار في الجهاز, الأرض على بعد 100 متر اهتزّت, صوت مكتوم ثم ارتجاج خفيف وبعدين صرخة!

مش صرخة طفل واحد, صرخات متعددة, متداخلة, طاقتها مختلفة.

عين البصيرة اتفتحت, وشوفت المشهد تحت الأرض, حفرة عميقة جدا مبطنة بألواح من حجر قديم محفور عليها رموز عكسية وفي النص دائرة احتجاز كبيرة وجواها مش نقطة واحدة, عشرات..

صغار جن بعضهم ضعيف جدا وبعضهم أقوى نسبيا وبيحاول يتسلق الحاجز الطاقي لكن بيفشل ويرجع يتكوّر تاني.

وفي أعلى الدايرة جهاز معدني بيمتص الطاقة ببطء ويحولها لخط طاقة أسود متجه لمكان بعيد, مش قتل سريع.. دا استنزاف!

انتوا بتسموه اختلال, أنا بس بكسر احتكاركم للطاقة.

قالها حازم وهو بيتمشى لحد ما وقف في مكان اتحول لدايرة محفورة في الرمل, والنجوم فوقه عامله هالة باهته كإنها بتبعد عنّه, صوته مكانش عالي, كان واطي لدرجة إن الريح نفسها وقفت تسمع..

الرمال حوالين الدايرة اللي وقف فيها بدأت تتحرك ببطء, مش حركة إعصار, حركة نبض, كإنه واقف فوق صدر كائن ضخم بيتنفس تحت الأرض.

كان بيني وبينه تقريبا عشر خطوات, كنت ثابت بدرجة مخيفة, عين البصيرة اشتغلت عندي وبدأت أشوف حاجه تاني غير اللي كنت شايفها..

خيوط طاقة سودة طالعة من تحت رجلين حازم وممتدة تحت الأرض لمسافات بعيدة ومربوطة فيها أطياف أطفال صغيرة من الجن..

بدأت اسمع صوت خافت جاي من اللاشيء بيهمسلي برجاء ممزوج بخوف "رجّعنا"

شدّام همس من ورايا, هو بيغذي نفسه بيهم, الطاقة لسه طازة..

مرهوب بصوت أجش مليان احتقار, ادیني الأمر وأنا اقطعه نصين..

حازم رفع إيده اليمين ببطء كإنه بيشرح محاضرة وقال, الجن عمرهم ما كانوا أوصياء على البشر, كانوا محتكرينا, احنا طول عمرنا بندفع تمن جهلنا, وأنا بس بطلب بحقّي..

مجرد ما خلص كلامه الهوا حوالينا اتشد, والنجوم اتهزت في عيني والرؤية اختلطت للحظة, حتى الرمال تحت رجلي اتجمّدت فجأة وبقت صلبة زي الزجاج, شق رفيع اتفتح في الأرض بيني وبين حازم, وخرج منه صوت حاد..

رفعت إيدي ناحية اليمين لثانية اتكونت فيها عصاية شكّلتها بجزء من قوتي, ضربت بيها الأرض بإيقاع معين, ضربتين, ضربتين, ضربة..

الدايرة اللي تحت حازم اتهزّت, خطوطها النحاسية اتوهجت للحظة وبعدين انكسرت..

رفع حاجبه باستعجاب واندهاش وقال انت مش مجرد وسيط, واضح انهم اختاروا صح!

مكانش يعرف إني مهندس جيولوجي وعارف الأرض اللي احنا واقفين عليها وطبقاتها أكتر منا عارف نفسي..

مرهوب خرج من ورايا بدون إذني, مكانش جسم كامل, ظل ضخم اتجسد من حرارة المكان والأحداث اللي بتحصل, عنيه حمرا زي فحم متقد, وقرون طويله ملتفة للخلف مشوفتهمش فيه قبل كدا, الهوا بقى أتقل ومرهوب اندفع للأمام, اندافع اندفاعة مفترس قديم لكن أهوج..

حازم متحركش, بس فتحه كفّه, الخيوط السودا اللي متصلة بالأطفال اتجمعت في لحظة وبقت زي نصل طاقة شبيه بالسيف والاصطدام حصل..

مفيش صوت, بس موجة ضغط خرجت كسرت طبقة الرمل اللي متجمد وعملت حفرة واسعة حواليهم..

مرهوب صرخ, صرخة ألم مش غضب..

جزء من كتفه الضبابي اتسحب, النصل اللي ماسكه حازم امتصّه..

شدام صرخ وقال حاول تقطع الاتصال بينهم, هو بيستخدمهم كموّصل..

وفجأة قبل ما اتحرك, السما فوقنا اتشقت, مش فتحة كاملة, جزء رفيع في الحجاب ومن خلاله ظهر ضوء غريب نفسجي مايل للسواد!

حسيت إن قلبي بدأ يدق بإيقاع مختلف عشان يوازن بين قوتي وبين عين البصيرة اللي بدأت تتفتح عندي بدرجة أكبر, الخيوط السوده مش مربوطه في الأطفال وبس!

شوفت اللي خلاّني أتجمد مكاني, فيه خيوط سوده ضخمة مكنتش شايفها قبل كدا, مربوطة بشيء قديم جاي من عالم الجن نفسه!

فيه حد من عالم الجن بيسمح باللي بيحصل دا, وحازم مش لوحده, ودا سبب استغرابي من البداية وإجابة سؤال اتردد في بالي كتير لما شوفته, هو عرف دا كله إزاي؟

حازم ابتسم تاني وقالي ابتديت تشوف؟ ولا لسه فاكر إنك جاي تنفذ حكم؟

لحظة صمت قطعتها الرياح اللي رجعت تهب من تاني..

الرمل ارتفع حوالينا في دوامة بشكل بطيء..

قولتله بيستغلوك وفاكر إنهم بيفيدوك؟

مديت إديا الاتنين ناحيته, اتكونت طاقة شفافة زي موجة الحرارة اللي بتظهر في الصيف فوق الاسفلت, الأرض اهتزت..

طبقة الرمل اللي واقف فوقها حازم انهارت تحت رجله, مش انهيار عشوائي, انهيار محسوب..

حازم فقد توازنه للحظة واحدة كانت كفاية استغلها واندفع ناحيته مش زي اندفاع مرهوب, لكن اندفاعة خبير فاهم ودارس هو بيعمل إيه كويس, ومسكته من صدره..

عين البصيرة عندي اشتغلت بالكامل, وشوفت حقيقة أكبر, الطاقة اللي في جسمه مش ملكه, فيه ختم قديم محفور على روحه, ختم من جن أكبر وأقدم..

همس وهو بيبتسم رغم الألم, لو قتلتني هتفتح لهم الباب بنفسك.

مرهوب بيئن من الألم..

شدام بيحذر..

الأطفال بيبكوا ...

بصيت للأرض, ومديت إيدي ناحية اليمين, العصا اللي فيها ازدادت قوة, ضربت الأرض بإيقاع معين, الرمل تحت رجلين حازم انخفض شبرين, ضحك وقال هتدفني واموت وتفتح الباب أو تسيبني وافتحه أنا..

ضربة تانية, الأرض اهتزت بشكل أعمق, صوت كسر عضم صخري جاي من تحت الأرض, شغلت عين البصيرة ورسمت علامات على الأرض بالعصا كانت بتتحول لقضبان من الطاقة بتتشكل تحت الأرض, كنت زي الموصل بين حازم والقضبان اللي بتشكلها العصا بتاعتي, باخد من طاقته وابني بيها سجن له تحت الأرض..

مكانش فاهم بعمل إيه, كان فاكرني هقتله, وفي اللحظة اللي بدأ يستوعب فيها اللي بيحصل, وقوته اللي بتقل بالتدريج كنت سحبت منه طاقة تكفي لبناء السجن الخاص بيه, وأول ما استوعب بشكل كامل وحاول يهرب من إيدي ضربت الأرض واتفتحته منها فتحه دائرية رميته فيها والقضبان بدأت تتشكل وتتقفل من فوق, السجن كان بيسحب من سجينه قوته ويقوّي بيها نفسه لحد ما أخد القوة كلها منه, والدايرة بدأت تتقفل ببطء والرمل يرجع مكانه..

آخر حاجه قالها قبل ما الرمل يدفنه بالكامل, انت مش عارف مين ورايا؟

رديت عليه بهدوء وقولتله, يبقوا يحفروا..

الأرض رجعت لطبيعتها, الشق اللي في السما ارتعش وبعدين قفل..

الصحرا رجعت طبيعية, مفيش قبر ظاهر, مفيش علامة وكأن شيئا لم يكن..

بس تحت طبقات الرمل والصخر فيه جسد حي محبوس بين ضغط الأرض ووزنها..

مرهوب سألني, انتهي؟
رديت وانا بلف ورايح ناحية العربية, اتدفن.

فيه واحدة اتجوزت من الجن..

في يوم ساعة عصاري كنت قاعد على صخرة سوده على أطراف الصحرا, بعيد عن أقرب طريق مسفلت بحوالي 40 كيلو, العربية واقفة جمب خيمة صغيرة وأجهزة القياس مرصوصة حواليا, شاشة اللاب توب بتعرض خطوط ملونة بتقول إن تحت رجليا في حاجة مش طبيعية, شق صخري قديم مليان معادن نادرة..

بس مكنتش مركز, كان فيه إحساس جوايا بيقولي إن فيه حاجه جايه, وفعلا إحساسي كان في محله, الهوا سكت فجأة, وصوت الريح اللي طول النهار بيزعق في ودني اختفى, وشدّام ظهر..

مبيظهرش كامل غير في المهمات, بيظهر نص ظل ونص نار مطفيه, وقف على بعد خطوتين وقال بصوت خافت جالك استدعاء, بعد ما نطقها الورقة ظهرت, منزلتش من السما ولا خرجت من الأرض, الهوا قدامي كالعادة اتلوّى كإن حد بيشد قماشة شفافة ومن وسط التموج خرجت ورقة قديمة لونها أصفر مكتوب عليها بخط أسود غامق كإنه محفور فيها, قربت ناحية عيني واتفتحت لوحدها وقريت فيه..

"أنثى من الإنس عقدت اقترانا كاملا مع الجن, وهذا أحدث اختلالا في الموازين, الإقامة قرية كذا مدينة كذا, الحكم المبدئي هو الفصل القسري, المنفذ هو الإنس المعين"

اخر سطر كان مختلف عن باقي السطور كإنه مكتوب جديد, رفعت عيني لشدام وقولتله اقتران يعني إيه؟ جواز؟

شدام رد بهدوء وقال عقد ارتباط كامل, عهد مخالف..

سألته الجن أذى حد؟ سكت شوية وقال لا..

بصيت على الورقة تاني عشان اقراها مرة تانية وافهم اللي فيها وبعد ما قريتها لقيتها بتتحرق بنار خفيفة كالعادة ورمادها وقع على الرمل..

مرهوب ظهر المرة دي, دايما حضوره تقيل ومختلف, الجو حوالين جسمه بيكتم النفس, وقال بصوته الخشن, مهمة سهلة, نفصلهم, نكسر الرابط ونمشي.

بصتله بطرف عيني وقولتله طب ولو ماستحقوش الفصل؟

مرهوب ضحك ضحكة جافة وقال القانون مبيسألش عن الاستحقاق, وشدام كمل بعده وقال, القانون بيسأل ويهتم بالتوازن.

وقفت وناديت على مهندس زميلي بيخرج معايا وبحبه لإني بيستحمل غياباتي المتكررة, قولتله يخلي باله من الإحصاءات وأنا هخرج بالعربية لمسافة بعض الكيلومترات اجيب عينة تربة, ودي كانت حجتي دايما وجزء من شغلي, مننقلش المعدات من الموقع الحالي غير لما نلاقي حواليا عينة تربة تستحق إننا ننقل كل حاجه جمبها..

ركبت العربية ومشيت مسافة بعيدة وبعدها نزلت وبدأت اكمل كلامي مع شدام ومرهوب وسألتهم عن مكان القرية دي, شدام وطى على الأرض ورسم خريطة على الرمل, قرية صغيرة, نخل حوالين بيوت طين, طريق فرعي شبه ميت وغير مستخدم..

بصيت لشدام النظرة المعروفة واللي من خلالها بينقلني للمكان اللي فيه المهمة, مد إيده وانا مديت إيدي وبمجرد ما لمسته العالم حواليا اتغير في جزء من الثانية وبقيت واقف على أطراف القرية اللي رسمها شدام من شوية.

بيوت بسيطة وجداران متشققة, عيال بتجري وتلعب قبل ما الشمس تغيب ويرجعوا بيوتهم, ستات واقفين بيكلموا بعض على الأبواب, الناس باصالي وكلهم عارفين إني غريب, عملت نفسي مش واخد بالي وبمشي عادي كإن ليا قرايب في القرية وجايلهم زيارة, واحد عجوز قرّب مني وسألني بفضول أهل القرى اللي عمره ما ينتهي وقالي انت جاي من بره؟

حسيت إنه مش سؤال, لكن جاوبت وقولتله آه, سألني جاي لمين؟ قولتله لبنت خالتي زينب, العجوز سكت لحظة وبص حواليه وشاور للمكان اللي أنا عارفه ورايحله وهو كمان عارف إني عارف لكن الطبع بيغلب التطبّع وقال امشي على الترعة لحد آخر بيت بس متإذيهاش.

قال الجملة دي ومستناش ارد عليه بالشكر أو السؤال عن معناها وسابني ومشي, وأنا عشان ملفتش الأنظار أكتر من كدا وواحد تاني ييجي يسألني فعملت نفسي مسمعتش كلمته وكملت مشي ناحية بيت زينب..

كل ما اقرب من البيت كنت بحس بحزن غريب في صدري, مرهوب قالي الرابط قوي, سألته عرفت إزاي؟ قال الهوا حوالين بيتها متشبع بالقوة, مش هوا عادي.

قربت لحد ما البيت المقصود ظهر قدامي, بيت صغير بابه خشب قديم, ونخلة واقفة جمبه كإنها حارس..

وقفت قدام الباب لحظات افكر في اللي هعمله وارتب أفكاري, رفعت إيدي عشان أخبّط وقبل ما إيدي تلمس الباب اتفتح, وظهرت من وراه ست في منتصف التلاتينات, ملامحها عادية وهادية بس عنيها فيها سهر سنين..

بصت في عيني وأول حاجه قالتها, إنت جاي تفصلنا؟

مستغربتش إنها عارفة, لكن طلبت منها أقعد معاها ونتكلم شوية, بصتلي بتشكك وبعدين لفت جسمها عشان تفتحلي الطريق في إشاره معناها اتفضل..

دخلت البيت, بيت بسيط وهادي من جوه وفيه راحه حسستني بذكريات الأجداد زمان وحبهم لبيوتهم القديمة ومميزاتها اللي مش موجودة في أحدث ناطحة سحاب موجودة حاليا, ذكريات للأسف معشتهاش لإني من مواليد المدن, بس حسيتها لوهلة لما دخلت البيت..

بصيت على الحيطان, مفيش طلاسم, مفيش دم, مفيش أثر لشموع كانت شغالة في ليالي معينة للقمر والكواكب, وبمجرد ما الاستنتاج جي في دماغي سمعت مرهوب بيهمسلي بيه في ودي, مفيش استدعاء قسري.

وشدام قال وراه على طول, الرابط طوعي.

قعدت قدامها وسألتها اسمه إيه؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت انتوا بتسمّوه يحيي, لكن اسمه الحقيقي مينفعش أنطقه.

الهوا اتحرك, الكيان ظهر..

ما اتجسدش بالكامل, بس ملامحه بانت في الضوء الخافت, طيف راجل طويل هادي, واقف جنبها مش قدامها, يعني معاها مش مالكها, صوته كان عميق لكن مفيهوش نبرة عداء لي أو تهديد, سألني إنت المنفّذ؟

رديت عليه بثبات وقولتله إنت عارف الحكم.

هز راسه وقال عارف, سألته ليه خالفت القانون؟

بص لزينب بحنان وقال وهو باصصلها "لإنها كانت هتموت"

سألته بهدوء اتجوزتها ليه؟

الجن بص لزينب, بصة متسببش خوف, كانت أقرب لوداع متداري.

زينب قاعدة قدامي باصة في الأرض, باين عليها إنها عارفة اللي هيقوله وراضيه بيه, وهو واقف جنبها وواخد هيئة قريبة من البشر لكن الضوء حواليه كان مكسور, زي ما تكون ملامحه مش عارفه تستقر على شكل واحد, ومع ذلك كان واضح عليه جدا إنه مش عايز يبعد عنها..

قال "عشان هتموت"

الصوت خرج منه مش زي باقي الجن, نبرة الجن أنا عارفها كويس, صوته مفيهوش صدى العالم التاني, بس كان فيه وجع بشري رهيب.

مرهوب اتحرك ورا ضهري كإن الكلام مش عاجبه, حسيت بيه بيختبر المكان كإنه مش مصدق اللي بيحصل وإن اللي قدامنا دا ممكن يكون مشهد عبثي بيكسبوا بيه وقت مش أكتر.

سألته مين قال إن أجلها قرّب؟

قال القبيلة بتاعتي مبتستناش الأجل, احنا بنعرفه, ونشوفه وهو جاي في الطريق, وقبيلتي هي القبيلة الوحيدة اللي أفرادها عندهم الميزة دي, بنعرف بس لكن محدش يقدر يوقف الأجل.

جملته خبطت في صدري, معقول فيه قبيلة أو مخلوق ممكن يكون عنده الميزة دي؟

بصيت في زينب وركزت فيها وقررت افتح عيني التالته "عين البصيرة" وبدأت الاحظ اللي بيحصل حواليها, الهالة حوالين زينب كانت ضعيفة, مش مقطوعة, لكنها خفيفة زي شمعة في مراحلها الأخيرة وبتستهلك آخر جزء من الفتيل بتاعها, الخيوط اللي بتمسك الروح بالجسد كانت ضعيفة هي كمان وبتترعش, مش ظاهر عليها فعل سحر أو مس أو أي تدخل خارجي, دي نهاية طبيعية.

بصيت لها وسألتها انتي موافقة على اللي عمله؟

قالت بدون ما تبص علي وبدون تردد هو مخدعنيش, هو قالي الحقيقة من أول ليلة ظهرلي فيها, صوتها كان واطي لكنه ثابت وعميق جدا.

بصراحة قصتهم لمست قلبي وقررت اقعد معاهم أكبر فترة ممكنة, بصيت عليه وسألته انت ظهرتلها امتى؟

سكت لحظة كإنه بيرجع يشوف المشهد قدامه وقال بعد ما رجعت من المستشفى بتلات ليالي, الدكاتره بعد الفحوصات قالولها جملة روتينية محفوظة كإنها اسطوانة عادية بيكرروها لبعض المرضى, اعملي اللي يريحك, الفترة الجاية أهم حاجه فيها نفسيتك.

الجملة دي معناها إن النهاية قربت, وهي كانت عارفة دا كويس, رجعت بيتها وقعدت في أوضتها, قفلت النور وسابت المروحة تلف في سقف ساكت, من غير عياط هستيري ولا صراخ, بس سقف أبيض وعينين باصين فيه كإنهم منتظرين منه إجابة وهو بعد صمت طويل هيجاوب.

دخلت عليها من حلم...

شفت المشهد بعيد البصيرة اللي كانت مازلت متفعلة عندي, كانت زينب قاعدة في مكان شبه بيتها بس أوسع والسما رمادي فاتح, مفيش شمس, مفيش ظل..

سمعت صوت بينادي باسمها, زينب..

مش همس, مش صدى, صوت واضح ثابت.

لفت ناحية الصوت وهو كان واقف بعيد شوية, مش متجسد بالكامل, ملامحه ضباب خفيف لكن صوته واضح أكتر من أي حاجه, قالتله أنا بحلم؟ قالها أيوه عشان لو جتلك في الحقيقة ممكن قلبك يتعب.

سألته بدون خوف انت مين؟ وكأنها مش فارق معاها طبيعة الكيان اللي بيسأل وخايف عليها طالما هو الوحيد اللي عمل كدا..

قالها واحد شاف اسمك مكتوب في وقت قريب, هي فهمت, خصوصا إن الإنسان لما يكون في مرحلته الأخيرة الإنسان بيبقى مستني أي إشارة وبيفهمها بدون ما يقول لحد عليها لكن بعد موته الكل بيكون متيقن إنه كان عارف بس رفض يقولهم..

قالتله هموت؟

قالها كلنا هنموت, بس سؤالك الحقيقي هتتوجعي قد إيه؟

هي سكتت

وهو قرب خطوة وقالها الألم مش فرض, أحيانا بيكون نتيجة خوف أكتر منه قدر.

قال وهو بيحكي.. كانت بتبص لي من غير ما ترتعش, كنت شايف قلبها بيدق في الحلم, بس مكانتش بتجري.

سألته في الحلم, انت ملاك الموت؟

ابتسم وقالها لو كنت ملاك الموت مكنتش هتكلم معاكي كل دا..

قعد جمبها, المسافة بينهم مكانتش مسافة أجساد, كانت مسافة قرار..

قالها عندك وقت قليل, مش أيام كتير, أقدر أخليه أهدى, أقدر أكون جنبك لحد اللحظة ما تعدي.

قالتله مقابل إيه؟ قالها عهد.

قالتله يعني إيه؟ قال يعني أرتبط بيك في عالمنا، بإرادتك, ساعتها أقدر أدخل بينك وبين الألم أقدر أمنع أي حد يتغذى على ضعف اللحظة وأفضل جنبك من غير ما حد يقرب.

هي ما وافقتش في الحلم الأول بس صحيت مفزوعة

قعدت علي سريرها, الساعة كانت 3 الفجر, الأوضة ضلمة بس الإحساس مكانش كابوس, وراحت تبكي لأول مرة من ساعة ما عرفت.

قالي رجعتلها الليلة اللي بعدها, بس المرة دي مكانش في الحلم, ظهرتلها في الحقيقة بنفس الصورة اللي ظهرتلها بيها في الحلم عشان متخافش, لما شافتني مصرختش لكنها اتفاجأت جدا وسألتني انت حقيقي؟

قولتلها زي المرض بالظبط, الجملة كانت قاسية لكنها صادقة.

قربت منها أكتر وملامحي بتتغير لهيئة شاب لكن عينيه أعمق من أي بشر, قالتلي أنا خايفة من الوجع, قولتلها أنا مقدرش أغير النهاية لكن اقدر اغير الطريق ليها..

قولتلها لو وافقتي هتبقي في عهدي, لا ألم الا اللي يحتمله جسدك, لا اقتراب من حد غيري, ولحظة الخروج هتبقى زي لحظة النوم العادي.

سألتني وبعدها؟ قولتلها بعدها هرجع مكاني وانتي تكملي في طريقك..

سألتني وانت هتستفاد إيه لما تعمل كل دا؟

سكت لحظات وفي الآخر قولتلها إن الرحمة في عالمنا نادرة واختيار إنسية تمشي معاك في عهد من غير خوف دا شيء ميتكررش.

قاطعته وقاطعتها, قاطعت كل اللي بيحصل ووقفت بعد ما جري في دمي غضب مفاجئ, يمكن شدام ومرهوب مصدقوش ردة فعلي..

شاورتله بإيدي وقولت وأنا بحرك عيني ناحيته وناحيتها عشان الكلام موجه ليهم هما الاتنين, نبرتي كان فيها تهديد, قولتلهم اللي بيحصل دا لازم ينتهي فورا, من الليلة انت ملكش وجود

معاها هنا, ولو على المرض بتاعها فدا نصيبها وقدرها وربنا هيجازيها عليه خير, يمكن يكون سبب المرض تكفير ذنوب عشان تروح لربنا وهي ذنوبها قليلة أو بدون ذنوب خالص..

على الرغم من قسوة كلامي إلا إني شوفت يقظة مفاجأة ظهرت على وشوشهم, كإنهم ميعرفوش الكلام دا, أو عارفينه بس ناسيينه, واتجوزا في لحظة ضعف..

بصيت عليه وأنا بقوله بعيني انت عارف أنا ممكن اعمل فيك إيه, بس مينفعش اتكلم احتراما لمشاعرها, وهو برضو كلمني وقال عارف...

لحظة صمت طويلة قطعها وهو بيقول ممكن تسيبنا نقضي آخر ليلة مع بعض زي مانت قولت, وليك العهد إني مرجعش بعدها..

بصيتله وأنا مش عارف أوافق ولالا, لكن زينب رفعت وشها فيها وقالتلي بعينها نفس اللي قاله, فما كان مني إلا إني وافقت وسبت البيت وخرجت وأنا راضي عن اللي عملته ومندهش من اللي حصل شوفته قدام عيني واللي لو حد حكاهولي مكنتش هصدقه..

فيه واحد بيستدرج البنات والستات باسم العلاج وباسم الروحانيات..

خيمة منصوبة وسط الصحرا, الإضاءة فيها عبارة عن لمبة صفرا نورها خافت ملموم عليها بعض الحشرات الصديقة, الوقت كان قبل الفجر بساعة تقريبا, والصوت دا كان صوت مرهوب سمعته قبل ما الهوا يبرد ويغير سكون الصحرا..

اللمبة ارتعشت والحشرات اللي حواليها هربوا, الظل على الخيمة طال وبقى أطول من جسمي, ومرهوب ظهر نص ظهور, ملامحة مش كاملة لكن عينيه بتلمع كإنها جمرة..

الموضوع بالنسبالي كان عادي, حوادث كتير ونصابين كتير مسكوهم بيعملوا نفس الشيء دا, لا الستات بتتعظ ولا النصابين بتغلب في الحجج والألاعيب..

تلاتة في اسبوعين, أكبر واحدة فيهم عندها 14 سنة, قالها وهو بيتفحص تعابير وشي, لما بسمع الأخبار دي بشمئز وبطني بتوجعني وبحس إني عايز اروح على جمب وافضي كل اللي فيها, بدأت احس بغضب بيتكون جوايا, كنت دايما لما اسمع الأخبار دي أو عموما الأخبار اللي بتكون عن ناس معندهاش إنسانية تقريبا, واحد يقتل واحدة والعكس, شاب يهين راجل عجوز في سن جده, شاب يعتدي على شاب بسكين كبيرة عشان سبب تافه ميستاهلش كل دا, وقتها بقول يارب وليني أمر الناس دي لأسبوع واحد بس, ووالله لأفعلن فيهم أفعال الحجاج بن يوسف وزياد ابن أبيه, واللي ميعرفش الحجاج فهو شخص تم توليته أمر العراق في عهد عبد الملك ابن مروان, كان اسهل حاجه بالنسباله الدم لدرجة إنه لما خطب في المسجد قال والله لو أمرت حد فيكم يخرج من الباب دا وخرج من باب غيره لأقتلنه.

وزياد ابن أبيه كان بالمثل ويعتبر أول واحد عمل حظر تجول في الإسلام, وفي أول يوم عمل حظر تجول العساكر جابوله أعرابي خرج بعد العشا ودا ممنوع, فسأله إيه خرجك وانت عارف إن فيه حظر تجول؟

قاله يا أمير أنا مش ساكن معاكم, وشردت ليا نعجة وخرجت وراها لحد ما جيت دياركم, يعني الراجل من البلد أصلا ولا سمع عن حظر التجول, فزياد قاله أعلم إنك لصادق ولكن في قتلك صلاح للمسلمين, يعني هيقولوا دا عمل كدا مع اللي خرج وهو مش عارف إن فيه حظر تجول, فهيعمل إيه مع اللي خرج وهو عارف؟؟

أنا بقى لو ربنا ولاّني أمر الناس لأسبوع واحد, هنفذ القصاص الفوري, قتلت وفيه كاميرا شافتك يعني ملوش لازمة الشهود والمحاكم, تتقتل في نفس المكان وبطريقة أبشع قدام الناس كلها, الحكام زمان كانوا بيخلوا الناس يحضروا تنفيذ القصاص ليه؟ ماهو عشان العظة والعبرة.

الناس جبانة بطبعها وبمجرد ما خمسة ستة يتنفذ فيهم القصاص الباقي هيمشي على الصراط المستقيم..

فكرت في كل الحاجات دي وزي ما تكون كانوا عبارة عن وقود لشعلة الغضب اللي وصلت مداها في صدري, وإيدي اتقبضت من غير ما احس, وقتها مرهوب ولأول مرة شوفته بيقرب مني جدا وحط إيده فوق صدري بدون ما يلمسني, حسيت نبضي مسموع في الخيمة كلها, قال نبضك بيعلى لما تسمع الظلم..

سكت لحظة وأنا بداري شعور جوايا وقولتله دي مش مهمة جايه من المجلس, دي حاجه لو عملتها هبقى أنا اللي اخترت.

قالي بهدوء بس حاسم كإنه بيشجعني, نروح..

الهوا جمبي اتشق كإن باب اتفتح من العدم وخرج منه شدام, واقف بصمت وبدون ملامح زي ما يكون موافق على اللي قاله مرهوب, بصتله استفهم منه أو حتى عشان الاقي في ملامحه نظرة تشجعني لكن كان وجهه بلا ملامح, كان عايز يقولي إن أنا بس صاحب الخيار وأنا اللي هتحمل نتيجته.

قولتلهم خلوني أفكر في الموضوع وبكرة نشوف, نمت ليلتها وبعد ما صحيت وقبل ما انام والموضوع شاغل دماغي وقرفان من الساحر وعايز اتخلص منه بإيدي مع إني عمري ما اتخانقت حتى مع حد قبل كدا..

اليوم مشي عادي, وبعد ما الكل راح ينام وقبل نص الليل استدعيتهم ودي مش بتحصل دايما, شدام ملامحه ثابته زي الليلة اللي فاتت متغيرتش قيد أنملة, ومرهوب عيونه بتلمع بتلذذ وحب للفتك.

مديت إيدي لشدام وفي اللحظة اللي مد إيده فيها ولمستها, بقينا احنا التلات في مكان جديد..

بيت قديم في قرية نائية, شغلت عيني التالتة وشوفت البيت من جوه, الإضاءة عبارة عن شمع وبخور وستاير تقيلة لونها أسود, على الحيطان طلاسم ودوایر مرسومة بدم ناشف, وقتها جي سؤال في بالي, ليه المجلس مبعتليش عشان اتخلص من الساحر دا؟ هل ميعرفوش؟ أو هل حياته أو موته ميفرقوش معاهم؟ ولا هل ملهمش مصلحة في موته؟

أسأله كتير جات في بالي قطعها الباب اللي اتفتح وظهر الساحر من وراه وهو بيقولي إنت جاي تتعلم مني؟ ولا جاي تتحداني؟ وواقف هنا ليه؟

راجل في منتصف الأربعينات برغم الجلبية البيضا اللي لابسها ودقنة اللي مربيها غصب عنها واللي المفروض يكسبوه هيبة ووقار لكن عيونه كلها مكر وخبث طاغيين عن مظهره الخارجي اللي بيحاول يظهره للناس..

قالها وهو مبتسم زيادة عن اللزوم, ابتسمت أكتر منه ومرديتش عليه..

كنت حاسس بحضور مرهوب ورايا ومش عايزه يعمل أي حركة طايشه بدون ما اقوله عليها, أنا كان المفروض اعرف الساحر أكتر واعرف اللي معاه من خلال عيني التالته بس تسرعي خلاّني قربت كتير بدون حكمة..

مد وشه ناحيتي وقالي عينك مفتوحة, مين اللي فتحهالك؟

الجو تقل .. شدام همس جو ودني وقال اللي معاه بدؤوا يتحرّكوا..

قولتله بهدوء, أنا جاي أسمع منك.

ضحك وجسمه بيترج وراسه رجعت ورا مع إن باين إن الضحكة مفتعله, وقال انت فاكرني مبسوط باللي بعمله؟ دانا باخد منهم الطاقة, ثم البنات والستات بييجوا برضاهم, مبضربش حد على إيده, سكت شويه وقال, اللي يمشي في طريق الشر .. يستحمل ..

مرهوب غضب, حسيت الأرض تحت رجلي بتترعش من قوته, قلتله وأنا باصص عليه بثبات, والرضا اللي مبني على خداع اسمه إيه؟

الهوا تقل فجأة, تقل بشكل أكتر من اللازم, الشموع اللي ورا الساحر انطفت

صوت تاني طلع, مكانش صوت الساحر

"هو تحت حمايتنا"

عين الساحر اتقفلت ثانيتين, ولما فتحهم كانت سوده بالكامل..

والمواجهة بدأت .....

الأرض تحت رجلي اهتزت اهتزاز خفيف, زي نبض قلب ضخم مدفون جوا التراب, الشارع اللي واقفين فيه بدأ لونه يبهت, الألوان بقت تتسحب كإن حد بيمسحها ببمحاة غير مرئية, السما ونجومها اتحولوا للون رمادي وظهرت سحب اتجمعت فوقنا وعملت دايرة مقفولة فوقنا احنا بس..

سمعت شدام جوايا بيقولي استعد هو بيفتح الدايرة..

الساحر مد إيده في الهوا وعمل بصباعه خد منحني على هيئة نص دايرة علوية, الخط اشتعل بلون أخضر باهت وبمجرد ما قفل الدايرة الشارع اختفى!

الأرض بقت عبارة عن تراب متشقق ممتد لمالانهاية, البيوت القديمة اتحولت لأطلال قرية قديمة مهجورة من مئات السنين, والهوا بقى مليان ذرات رماد بتلمع..

قال بنبرة بيحاول يزرع فيا الخوف بيها, هنا محدش هيشوفنا ولا هيسمعوا صراخنا, هات كل اللي عندك..

وبمجرد ما خلّص كلامه, ظهروا..

الظل بتاعه اللي كان وراه, مبقاش ظل واحد, اتقسم اتنين, بعدها اتضاعفوا, ومن كل ظل خرج كيان, طولهم كان أطول من البشر بشوية، وأجسامهم كأنها دخان متكثف، ملامحهم مش واضحة، لكن عيونهم زي جمر مدفون تحت رماد.

كل واحد فيهم ليه هيئة مختلفة يعني مثلا واحد أعرض، واحد أنحف كأنه رمح، واحد ضخم الكتفين، والرابع كان ساكن, بس أحساسي ناحيته والطاقة اللي كامنة جواه كانت أتقل من الباقيين.

الساحر بصلي وقال بثقة, قول لخدمتك يطلعوا خلينا نشوف شطارتهم.

كان فاكرني زيه...

كان فاكر إن اللي معايا مجرد خدمة..

ابتسمت ابتسامة أكبر من ابتسامته ومنطقتش, مجرد ما همست جوايا شدّام, الهوا حواليا اتموج زي حرارة طالعة من الاسفلت, وظهر على يميني, مرهوب ظهر على شمال بدون ما انادي عليه, ظهر بهيئته الضخمة وضهره بيتحرك لأعلى وأسفل نتيجة أنفاسه الغاضبة, وقال سبهملي.

واحد من الأربعة اللي ورا الساحر اندفع فجأة اتجاهي, اتحول لخط مستقيم زي الرمح, قبل ما يوصل عندي اصطدم..

شيء مكتوم شبه حجر خبط في لوح زجاج سميك, الهوا قدامي اتموج في لحظة وظهر جدار شفاف متين من صنع شدام..

الكيان ارتد للخلف من قوة الاصطدام وهو بيحرك راسه شمال ويمين عشان يفوق من اللي حصل معاه, وفي نفس اللحظة مرهوب رفع رجله يتحرك خطوة لقدام وقبل ما ينزلها للأرض كان اختفى وظهر خلف الكيان دا, وفي اللحظة اللي بعدها الكيان اتفكك وجسمه بقى عبارة عن شظايا دخان سودا اتبعترت في ساحة المعركة..

الساحر عينه رمشت, شوفت الخوف والمفاجأة ظهروا فيهم لجزء من الثانية لكنه أخفاهم بمهارة, وقال بهدوء مصطنع, حظك كويس..

التلاتة الباقيين غيروا تشكيلهم فورا بإشارة من يد الساحر, اتحركوا حواليا في دايرة, مكانوش بيقربوا, كان وضح إنهم بيقيسوا..

التشققات اللي في الأرض بدأت تتملا بلون أحمر كإننا واقفين جمب بركان بيغلي, درجة الحرارة زادت جدا, وأنا مبحبش الحر ولا بحب الصيف ولا بحب اللي بيحبهم..

واحد منهم رفع إيده ناحية الأرض، وفجأة سلاسل من ظل طلعت من تحت رجلي، محاولة تمسك في, السلاسل عدت من خلالي, مش لأني اتحركت لكن لأن شدام في نفس اللحظة لف طبقة خفيفة حوالين جسمي, طبقة رقيقة زي قشرة هوا مضغوط, السلاسل بمجرد ما لمستها دابت واتبخّرت كإنها قطرات مياه اترمت في بركة نار.

مرهوب مكانش بيستني, اتحرك ناحية الأعرض فيهم عشان يفتك بيه, والتاني حاول يعترضه راحوا اتصادموا في نص الساحة, مكانش فيه أصوات صراخ, فقط أصوات اصطكاكات بتظهر بعد كل ثانية والتانية وضوء يظهر ويخفي في كل مرة في مكان مختلف عن المرة اللي قبلها.

التالت الساكن كان الأخطر.. واقف مبيتحركش.

فجأة حسيت بثقل على كتفافي..

ضغط نفسي..

محاولة اختراق ذهني..

الساحر رفع حاجبه وهو شايف رد فعلي, وقال مش كل حاجه بتبان.

حاول يدخل من خلال إدراكي ويعرف أنا مين, وإيه سر القوة بتاعة اللي معايا؟

همست لشدام, اقفل.

الجدار الشفاف اللي قدامي مبقاش قدامي بس, اتمدد حواليا وانغلق على نفسه زي قبة كاملة حواليا, قبة عزلتني عن أي محاولة اختراق..

الضغط اختفى فجأة, في اللحظة دي مرهوب أنهى اشتباكه مع التاني اللي اتفكك وبقى عبارة عن ذرات دابت في الهوا قبل ما تلمس الأرض.

كدا اتنين خلصوا, التالت اللي هو أعرضهم جسما حاول يندفع نحوي مباشرة, لكن قبل ما

يوصل كان مرهوب انطلق ناحيته ولف حوالينه كإعصار أسود وسحبه تحت الأرض, والاتنين اختفوا, مرت ثواني تقيلة بعدها خرج مرهوب من نفس المكان اللي سقطوا فيه..

كدا خلصوا تلاته وباقي واحد.. الساكن..

كان واقف ومازال مبيتحركش, هو اللي كان بيحاول يدخل عقلي ولسه بيحاول.

الساحر بدأ يتوتر, وكان واضح إحساسه بالكفة اللي بتتغير لناحيتي, وقال بنبرة أقل ثقة واضح إن خدمتك متدربين كويس..

ابتسمت تاني بس المرة دي مرديتش عليه, فجأة الساكن اتحرك ولأول مرة واندفع بس مش ناحيتي, ناحية مرهوب اللي واقف في النص بيلتقط أنفاسه بعد معركته الأخيرة واللي واضح إنها كانت أقواهم..

اشتبكوا في نص الساحة, تصادمهم عمل تموج عنيف في السما الرمادية, المعركة مكانتش أضواء بتظهر وتختفي هنا وهناك, سمعنا أصوات زمجرتهم, أشبه لصوت حيوانات ضارية بتحارب على لقب الزعامة, الوقت زاد, ونظرات الساحر كانت كلها قلق وهو بيتابع اللي بيحصل, وشدام واقف جمبي مبيتدخلش, سايبها مواجهة مباشرة وفي نفس الوقت بيحميني من أي مفاجأة ممكن تحصل.

بعد وقت مش قليل الأصوات بدأت تقل لحد ما ظهرت خالص, وفي النهاية ظهر مرهوب وهو واقف وبعد ثانية كان وقع على الأرض في وضع الجلوس بعد ما خارت كل قوته, بص على شماله ناحية شدام, بصة معناها مدخلتش معايا ليه؟ لكن شدام معملش أي ردة فعل أو إجابة لسؤاله..

الساحة سكنت..

الشقوق في الأرض بدأت تقفل..

السما رجعت أهدى..

الظل بتاع الساحر رجع طبيعي زي ما كان, الساحة بدأت تتلاشى, والألوان رجعت للشارع, والبيوت ظهرت ورجعنا واقفين من تاني قدام بيته, أنا وهو وشدام, مرهوب مكانش معانا, واضح إنه قرر يرتاح بعد المعارك اللي خاضها..

لفيت ضهري ناحية الساحر وشدام اتحرك خطوة ناحيته, سمعت بعدها صرخته الأخيرة.

أنا كنت فاكر إني بدأت أفهمهم، أو على الأقل اتعودت عليهم، على وجودهم اللي بييجي فجأة ويختفي فجأة، على الأصوات اللي بتظهر في دماغي كأنها مش مني، وعلى الإحساس الدائم إن في عيون بتراقبني حتى وأنا لوحدي في نص الصحرا بعيد عن الموقع والعمّال, بس الليلة دي كان فيها حاجة مختلفة، حاجة تقيلة، كأن المكان كله متوقف ومستني إشارة تبدأ بيها حاجة مش طبيعية, إشارة شبه اتعودت عليها كل ما يبعتوني في مهمة جديدة!

كنت قاعد جنب العربية، فاتح أجهزة القياس قدامي، الأرقام بتتحرك على الشاشة بشكل منتظم، طبقات الأرض بتتكشف قدامي كأني شايفها بعيني، لكن تركيزي مكنش على الشغل، كان في إحساس غريب جوايا، شدّة في صدري، كأن في حاجة بتقرب، حاجة أنا عارفها كويس، بس عمري ما اتطمنت لها, رفعت راسي وبصيت حواليا، الصحرا كانت ساكنة، مفيش صوت غير صوت نفسي، ولا حتى هوا، سكون كامل يخليك تحس إنك الوحيد في الكون..

وفجأة كل حاجة بردت.. مش مجرد انخفاض في الحرارة، لأ، ده كأن حد سحب الدفء من المكان كله مرة واحدة جسمي قشعر، وأنا مغمض عيني قبل ما أشوفهم، لأني بقيت عارف الإحساس ده كويس.

في البداية كانت الورقة بتظهر قدامي وهي مقفولة وبتتفتح وبمجرد ما اقراها كانت بتتبخّر وتختفي بس المرة دي زي ما يكون الحاسة بتاعتي كانت أقوى لدرجة إني شوفت طيف الجني اللي بيجيب الورقة دي ويحاول يكون مخفي بقدر الإمكان, لدرجة إني في البداية ظنيت إنها ورقة سحرية بتظهرلي أنا فقط, لكن بشوية تفكير عرفت إن مستحيل يبعتوا ورقة زي دي وحدها بدون ما يبعتوا معاها جن يحميها, والواضح كمان إنه مش جن عادي لدرجة إني في المرات اللي قبل كدا مكنتش بشوفه ولا حتى ألمحه, لكن اشمعنى المرة دي!

غمضت عيني من هول الموقف وبعدها فتحتها ببطء، والظل قدامي بدأت أشوفه، واشوف الورقة اللي كان ماسكها في إيده وبعدها مدها في الهوا بيني وبينه, مجرد ما خلصت قراءة كانت اختفت وهو اختفى وراها, سرحت للحظات في الكلام اللي كان مكتوب وحاولت افهمه

وفي وسط مانا بفكر شوفت زي دخان بيتلم على بعضه لحد ما بقى له شكل، شكل شدام، واقف قصادي، ملامحه مش كاملة، بس حضوره واضح، تقيل، مألوف.

قبل ما أتكلم، حسيت بحاجة تانية ظهرت، حاجة أقوى، أتقل، خلت نفسي يتسحب مني للحظة وطبعا دا كان مرهوب اللي دايما تاعبني ومش عارف آخرتها معاه!

مرهوب وجوده مختلف، مش مجرد جن، ده إحساس بسلطة، بقوة خام، كأنك واقف جنب حاجة أكبر منك بكتير, بصلي من غير ما يتحرك، وصوته خرج ببطء تقيل: "فيه ميت مش ميت"

سكت لحظها وأنا برجع بذاكرتي للورقة واللي مكتوب فيها, وسألتهم هما الاتنين وأنا باصص في السما بفكر, يعني إيه؟

شدام اتحرك خطوة لقدام، وقال بنبرة ثابتة, ساحر اتدفن حي من أربعمية سنة ولسه أثره شغال..

قلبي دق أسرع، مش خوف بس، فضول كمان، الإحساس ده اللي بيشدني دايما ناحية الحاجات اللي المفروض أبعد عنها, سألت وأنا بحاول أبان ثابت: "ودلوقتي؟

مرهوب رد المرة دي، وصوته كان تقيل كأنه بييجي من تحت الأرض, خاتم في صباعه بيستخدمه لحد دلوقتي..

حسيت ببرودة في إيدي من غير سبب، كأن حد مسكها، وكأن الخاتم ده بقى حقيقي قدامي قبل حتى ما أشوفه, شدام كمل وقال الخاتم مربوط بجن من أتباعه بيأمرهم من جوه قبره بيأذي وبيفسد وبيكسر القوانين..

غمضت عيني لحظة، وبعدين فتحتها وأنا باخد نفس عميق، عارف إن مفيش اختيار، وعارف إنهم مش بيجوا غير لما يكون في حاجة لازم تتعمل قلت بهدوء, المطلوب إيه؟

الرد جه من مرهوب وهو بيقول بنبرة عادية جدا كأن الأمر عادي, تنزل وتاخد الخاتم..

بلعت ريقي وبصيت في الأرض قدامي، الرمل ساكن، بس فجأة بقيت شايفه بشكل تاني، كأن تحت كل حبة فيه سر، كأن في حاجة مستنية حد يوصلها بصيت على شدام وسألته وفين المكان؟

شدام رفع إيده، ولمس الهوا قدامي، وفجأة المكان اتغير في عيني، شفت مقبرة قديمة، مش شبه مقابر دلوقتي، طوب متاكل، أرض مشققة، وهواء تقيل كأنه مش بيتنفس, شفت راجل مربوط، مدفون وهو صاحي، عينه مفتوحة، فيها رعب وغِل في نفس الوقت، وفي إيده خاتم أسود، باين عليه إنه مش مجرد معدن, زي ما يكون معدن جاي من خارج الكرة الأرضية..

الصورة اختفت فجأة، ورجعت تاني للصحرا، لكن الإحساس فضل، إحساس إن اللي شفته ده مش ماضي ده لسه مستمر...

مرهوب قال ببطء, إياك تفتكر إنه ميت وتتخلى عن حذرك!

وقتها بس فهمت إن دي مش مهمة حفر دي مواجهة وأنا كنت رايح أقابل حاجة اتدفنت من أربعمية سنة ولسه مستنية حد ينزل له!

أنا فضلت واقف مكاني شوية، ببص على الرمل كأنه هيكشفلي لوحده مكان القبر، لكن الحقيقة إن اللي كان جوايا مكنش بس توتر كان إحساس غريب أقرب للنداء، كأن في حاجة تحت الأرض حاسة بيا وبتستنى وصولي!

رفعت راسي ناحية شدام ومرهوب وقلت بصوت واطي لسه بيفكر, امتى؟

شدام من غير توتر قال دلوقتي!

الكلمة وقعت تقيلة، بس مكنش عندي رفاهية التفكير، مسكت الكشاف من العربية، ولبست الجوانتي، رغم إني عارف إن الحفر اللي جاي مش هيبقى زي أي شغل جيولوجي عملته قبل كده, رجعت وقفت وسطهم ومديت إيدي ناحية شدام وبمجرد ما لمستها كنا احنا التلاتة في مكان تاني مختلف, صحرا نفس اللي كنت فيها من لحظات بس كانت صحرا زي ما تكون ميته, والرمل بتاعها محدش داسه من مئات السنين..

مشينا شوية ومرهوب وقف فجأة، وأنا وقفت وراه، من غير ما يقول كلمة، بس أنا فهمت مفيش أي علامة، لا شاهد قبر، ولا أثر لبني آدم، بس قلبي كان بيدق بسرعة غريبة، كأن جسمي كله بيقولي هنا..

غرزت إيدي في الرمل وبدأت أحفر..

أول شوية رمل كانوا سهلين رمل عادي بيتشال، بس بعد عمق بسيط، بدأت التربة تتماسك، وبقى في ريحة, ريحة قديمة، مكتومة، خليط بين عفن ورطوبة، كأن المكان ده متفتحش من قرون, كل ما كنت بنزل أعمق، صدري كان بيضيق، مش من التعب من الإحساس إن في حاجة قريبة..

وفجأة إيدي خبطت في حاجة صلبة!

وقفت لحظة، ومسحت العرق من على جبيني، وبعدين كملت بحذر، لحد ما ظهر جزء من طوب قديم، متآكل، مرصوص بطريقة بدائية, فتحت فجوة صغيرة، والهواء اللي طلع منها كان تقيل بشكل يخليك تحس إنه عايش، مش مجرد هوا محبوس!

شدام قال بهدوء, افتح كمان..

كسرت جزء أكبر، وبدأت أوسع الفتحة لحد ما بقت تكفي إني أنزل. بصيت لجوا، ظلمة كاملة، ظلمة من النوع اللي الكشاف نفسه يخاف يدخلها, بلعت ريقي، وشغلت الكشاف، ونزلت..

أول ما رجلي لمست الأرض تحت، حسيت ببرودة غريبة، كأن الأرض نفسها ميتة, الكشاف بدأ يكشف المكان تدريجي, جدران طوب متآكلة، وفي النص كانت فيه حفرة أعمق شوية

قربت خطوة وبعدها اتجمدت

كان فيه هيكل, لأ مش هيكل, كان جسد محتفظ بهيئته بشكل يخوف، جلده ناشف ومشدود على عظمه, ووشه عينه مفتوحة!

مفتوحة وباصالي كأنها مستنايني أو مستنيه اللي هيقتحم عليها خصوصيتها, زي ما يكون الميت عارف إن هييجي يوم من الأيام وواحد هينبش قبره..

اتسمرت مكاني، ونفسي اتقطع لحظة، بس قبل ما أرجع لورا، الصوت جه! مكانش صوت جاي من شدام ولا مرهوب..

صوت تالت..

صوت واطي متكسر كأنه طالع من زور اتحرق

"اتأخرت"

جسمي كله قشعر، والكشاف في إيدي اتهز، والنور وقع على إيده وهناك شفت الخاتم! عملت

أسود، غامق، كأنه بيبلع النور حواليه، وفيه نقوش دقيقة، بتتحرك, غمضت عيني وفتحتها عشان أتأكد من اللي شايفه! آه بتتحرك، كأنها مش ثابتة!

عملت نفسي مسمعتش حاجه وقوّيت قلبي بشدّام ومرهوب اللي موجودين معايا

ومديت إيدي ببطء وأنا سامع صوت نفسي عالي في ودني, كل حاجة جوايا كانت بتقولي ارجع, لكني مسمعتش, كنت عايز أنهي المهمة الشؤم دي في أسرع وقت, كل المهمات اللي قبل كدا بالنسبة للمهمة دي يعتبروا عاديين وكنت باخد وقتي فيهم وعادي, لكن دي غير, كنت بحس كل ما تعدّي دقيقة بتنقص من عمري شهر..

وأول ما لمست الخاتم حصلت الصدمة!

مش كهربا لا, دي كانت زي موجة دخلت في جسمي، شفت صور بسرعة، نار، طقوس، دم، ناس بتصرخ، والساحر ده واقف وسطهم، رافع إيده بالخاتم، ووشه مليان جنون أقرب ما يقال عنها إنها جنون العظمة, عينه كانت بتلمع كأنه أقوى واحد على وجه الأرض, جسمه ثابت وهيئته توحي بقوة مكتسبوهاش غير سحرة قليلين جدا قبله..

وقبل ما ألحق أسحب إيدي فجأة أصابع الساحر اتحركت عليها, ببطء وإصراء وراحت ماسكة إيدي كإن واحد غريق بيتشبث بحاجه تسحبه للحياة من جديد, اتخشبت مكاني وقلبي دق بعنق وبدأت أحس بأعضاء جسمي وأنا بفقد السيطرة عليها, بصيت في عينه المفتوحة لقيت فيها حياة, فجأة ابتسم ابتسامة مخيفة, مش إنسانية أبدا, ابتسامة مليانة حقد وانتصار في نفس الوقت!

المرة دي صوته طلع أقوى ومكانتش كلمة عابرة زي اللي سمعتها أول ما نزلت مقبرته, قالها بكل وضوح "كنت مستنيك يا تلميذهم"

وفجأة حسيت بمرهوب بيتحرك لأول مرة بعنف ورايا، وصوته جه زي الرعد وهو بيقولي سيبه, سيبه..

لكن كان فات الأوان..

الخاتم كان بدأ يلبسني..

إيدي اتجمدت في إيده، مش قادر أشدها، مش قادر حتى أصرخ، كأن القوة اللي في الخاتم مش بس ماسكة جسمي دي داخلة جوايا، بتدور في دمي، بتقلب حاجة أنا مش فاهمها!

حسيت بنبض غريب في صوابعي، مش نبضي أنا نبض تاني، أقدم، أبطأ، وأتقَل، كأن حد تاني بيشارك جسمي!

حاولت أقاوم، أزق، أشد، لكن قبضته كانت أقوى من أي منطق، أقوى من الموت نفسه, عينه كانت لسه مفتوحة، بتلمع بضوء خافت، وصوته خرج أقرب، كأنه بقى جوا دماغي, قال بهدوء وبدون أي تعبير, أنت مش أول واحد ينزل, بس أنت أول واحد يلمس..

أسناني خبطت في بعض من الرعب، وقلت بالعافية سيبني, كلمتي طلعت مليانه خوف, كنت حاسس بالخوف حقيقي, خوفت كأني أول مرة اخاف في حياتي..

ضحك ضحكة ناشفة، مكسورة، بس فيها شماتة, "اسيبك ده أنا مستنيك من يوم ما دفنوني, مستني حد زيك, حد مفتوح"

في اللحظة دي، حسيت بحاجة بتتفتح جوا راسي، زي باب كان مقفول واتكسر، صور بدأت تدخل بعنف، مشاهد من حياته، من غير ما يشرح, كنت شايف بعينه, شايفه وهو واقف وسط

دايرة نار، حواليه رجالة مرعوبين، وواحد فيهم بيصرخ إنه لازم يوقفه، وإنه خرج عن كل القوانين, شايفه وهو رافع الخاتم، ورافض يخضع، وبيستخدم الجن مش كوسيلة لكن كعبيد!

شايف الدم، شايف العهد اللي كسره، وشايف الحكم اللي صدر عليه, الدفن حي..

كان مربوط، بيصرخ، بيترجى في الأول وبعدين بيضحك, ضحكة مجنونة وهو بيتردم عليه التراب، حوالين الحجرة الصغيرة اللي مبنية بالطوب والطين, وكأنه واثق إن النهاية دي مش نهاية, وقبل ما آخر نفس يطلع منه، بص للخاتم وقال همسة, همسة أنا سمعتها دلوقتي, هرجعلكوا تاني..

رجعت لوعيي فجأة وأنا لسه ماسك إيده، أو هو اللي ماسك إيدي، وحسيت إن الخاتم بدأ يسخن، سخونة مش بتحرق الجلد بس بتحرقني من جوه, صوابعي اتشدت غصب عني، وكأن الخاتم بيقيسني، بيجربني، بيتعرف هل هقدر على القوة الموجودة فيه ولالا, هل هستحملها!!

صرخت المرة دي, مرهوب!

لكن شدام هو اللي اتحرك، حسيت بوجوده دخل بيني وبين الجسد، وصوته جه حاد لأول مرة وهو بيقول, افصل!

وفجأة، القوة اللي كانت مسيطرة عليا اتلخبطت، كأن في شد وجذب، بيني وبين حاجة مش عايزة تسيبني, الساحر شد بإيده أكتر، وصوته بقى أعنف وقال ده بتاعي أنا مستنيه من قرون..

وفي لحظة واحدة، حسيت بإيدي بتتسحب بعنف، كأنها اتخلعت من مكانها، ووقعت لورا وأنا بصرخ، جسمي خبط في الأرض، والكشاف وقع واتدحرج، والنور بقى بيرقص على الجدران

بصيت على إيدي كانت حمراء، مش دم لكن آثار حرق غريبة، مرسومة زي نقوش الخاتم بالظبط رفعت عيني بسرعة ناحية الجسد لقيته رجع سكن تاني زي أول مرة شوفته فيها! إيده وقعت مكانها وعينه لسه مفتوحة بس فاضية!

الخاتم لسه في صباعه, اتنهدت بصعوبة ولسه بحاول استوعب اللي حصل من دقايق وقلبي وعقلي بيقولولي اهرب من المهمة دي أو ارفضها وأكيد اللي هيحصلك مش هيكون أسوء من اللي هيعمله فيك الساحر دا..

بصيت في إيدي وشوفت النقوش اللي ظهرت عليها فجأة واللي هي نفس النقوش الموجودة على الخاتم, وبعد ثواني بدأت تحرك نفس الحركة اللي شوفتها على الخاتم أول مرة, آخر حاجة سمعتها كانت كلمة مرهوب لما قال الخاتم ساب فيك أثر..

بصيت للجسد مرة تانية وللخاتم وعرفت إن المرة الجاية اللي همد فيها إيدي مش هتبقى زي الأولى, المرة الجاية يا هكسره يا هبقى أنا الامتداد الجديد للساحر المدفون..

أنا ما اتحركتش، فضلت قاعد جنب الجثة، حاسس إن أي حركة زيادة ممكن تبوّظ كل حاجة، كأن المكان كله مربوط بخيط رفيع جدًا وأنا لو لمسته هيتقطع وتقوم الدنيا عليا، إيدي كانت مرفوعة في الهوا قدام الخاتم، بس المرة دي ما لمستوش، كنت بتفرج عليه زي واحد واقف قدام حيوان مفترس مستنيه يغمض عينه لحظة، كان عندي إحساس غريب إن الخاتم بيبص عليا زي منا ببص عليه وبيراقبني زي ما براقبه, كان أشبه بكائن حي متشكل في هيئة خاتم سحري محطوط في صباع دجال ميت..

التراب حوالين الجثة كان بيتحرك ببطء خفيف كأنه بيتنفس، وكل شهيق كنت بحسه بيخش صدري أنا مش القبر، وبرودة غريبة بدأت تزحف على جلدي لحد ما صوت شدام جه واطي من ورايا وكأنه بيهمس جوه ودني, بص كويس بس مش للخاتم للي لابسه..

ركزت عيني على إيد الجثة، وهنا بدأت ألاحظ اللي ماخدتش بالي منه قبل كدا، الجلد رغم إنه ناشف ومشدود على العضم، إلا إن في ارتعاشة خفيفة جدًا في صباعه، حركة لو ما كنتش مركز كنت هفتكرها وهم، بلعت ريقي بالعافية وسألت وأنا صوتي شبه مش طالع, هو حي؟

مرهوب رد بنبرته التقيلة الباردة, لا بس متشبث في الخاتم ومش عايز يسيبه, في اللحظة دي الإيد شدت على الخاتم كأنها سمعتنا، قبضة ميتة، بس مليانة إصرار أكتر من أي إنسان حي، حسيت إن في إرادة جوه الجثة، مش روح، إرادة قديمة، عنيدة، رافضة تنتهي..

افتكرت كلامهم وافتكرت اللي حصل أول مرة، وساعتها فهمت إن القوة هنا مش في الشد، القوة في الفصل، اقطع الرابط، الكلمة دي فضلت ترن في دماغي، بصيت على النقوش اللي على الخاتم، تفاصيل دقيقة، متشابكة، مش مجرد زينة، دي كتابة، عهد، ورباط، حطيت إيدي التانية على جلدي وبدأت أرسم، أعكس كل خط، كل انحناءة، وكل ما كنت برسم كنت بحس إن حاجة بتتسحب من الجثة، مش طاقة بس، كأنني بفك عقدة مربوطة بقالها سنين، الإيد الميتة

بدأت ترتعش بشكل أوضح، وصوت خافت طلع من حلقه، صوت مش بشري، أقرب لصدى صوت اتخنق تحت التراب، شدام صرخ كمل ما توقفش, وأنا بالفعل ما كنتش قادر أوقف، إيدي كانت بتتحرك لوحدها، الخطوط بتتكمل كأنها محفوظة في دماغي من غير ما أفكر، وآخر ما خلصت آخر رمز، حصل الصمت...

صمت كامل, تقيل, خانق, وفجأة الخاتم اتزحلق لوحده من صباعه الجثة ووقع جمبها, وبدأت النقوش والرسوم اللي فيه تلف حوالين نفسها بسرعة شديدة كإنها مستنية المالك الجديد اللي هيمسك الخاتم عشان تتقارن معاه وتتطبع على قوته وبعدها تطبعه على قوتها, لكن لما ملقتش حد مسكها بقت حركتها تقل تقل لحد ما هديت خالص وزي ما يكون الخاتم كانت فيه روح واختفت!

مديت إيدي ناحية الخاتم وأنا متردد، وقبل ما حتى أتنفس، عينيه اتفتحوا، ببطء شديد، وركزوا عليّا مباشرة، مفيش بياض، مفيش سواد، عينين باهتين كأنهم شايفين حاجة أبعد مني، ابتسم، ابتسامة واسعة مش مكانها، وسمعته بيقول جوه عقلي, أنت متأخر بس مش مهم، المهم إنك جيت..

جسمي كله شد، حسيت إن في حاجة بتحاول تدخل دماغي، مش فكرة، مش صوت، حاجة بتتسلل جوايا، صور بدأت تظهر قدامي، نفس المكان بس زمان، ناس حوالين القبر، صراخ، طلاسم، والساحر وهو بيتدفن حي وهو لسه بيضحك، والخاتم في إيده، نفس النقوش، نفس العهد، وفهمت في لحظة، الخاتم مش بس مصدر قوته لا, الخاتم هو السبب في النهاية اللي وصل لها الساحر!

صرخت مش هاخده بس صوتي طلع ضعيف، لأن الحقيقة كانت واضحة، أنا لازم آخده، مش عشان أستخدمه، عشان أنهي كل حاجه..

مرهوب لأول مرة اسمعه بيقول بصوت مهزوز وهو بيقولي خده قبل ما الرابط يرجع من تاني, ومن غير تفكير مديت إيدي، بس المرة دي بالقفاز الطاقي اللي شدام كونه حوالين كفي، أول ما لمست الخاتم حسيت بحرارة رهيبة، مش بتحرق جلدي، بتحرق حاجة أعمق، كأنها بتحرق فكرة وجوده معايا، الجثة انتفضت بعنف، وصرخة خرجت منها، صرخة طويلة مليانة غضب ورعب، مش رعب مني رعب من النهاية، شدّيت الخاتم بكل قوتي، وسمعت صوت زي حاجة بتتقطع مش معدن ومش لحم, كان صوت عهد بيتكسر..

في اللحظة دي القبر كله اهتز، التراب بدأ ينهار، والهواء بقى تقيل لدرجة إني مش قادر أتنفس، بس الخاتم كان في إيدي أخيرا، أول ما طلع من صباعه، الجثة سكنت تماما، كأنها عمرها ما اتحركت، والعينين فضلت مفتوحة، بس من غير نظرة، من غير وجود..

وقعت على ضهري برا الحفرة وأنا بلهث، إيدي بتترعش والخاتم فيها، النقوش اللي كانت على جلدي بدأت تختفي تدريجي، كأنها عمرها ما كانت، شدام سكت، مرهوب سكت، لأول مرة أحس إني لوحدي!

بصيت للخاتم في إيدي، كان ساكن عادي قطعة معدن قديمة لو حد حكالي عنه وعن اللي عمله جوه المقبرة مكنتش هصدقه, محدش كان هيصدق غير اللي شاف بعينه..

المهمة انتهت بس أنا كنت حاسس كويس إنها منتهتش ولا حاجه, لإن قبل ما كل حاجه تسكت وقبل ما الصمت يرجع زي ما كان, سمعت همسة خفيفة جدا جايه من الخاتم نفسه وهو بيقولي, أنا خرجت مش اتكسرت..

وساعتها بس فهمت إن المهمة ما كانتش إني آخده, المهمة إني أطلّعه..

فضلت باصص للخاتم في إيدي فترة مش قليلة، لدرجة إن الوقت نفسه حسيت إنه وقف، مفيش صوت مفيش نفس، حتى شدام ومرهوب اختفوا كأنهم انسحبوا فجأة، ودي كانت أول مرة أحس فيها إن وجودهم مش مضمون، وإن أنا ممكن أكون لوحدي فعلا في اللحظة الغلط، حاولت أقنع نفسي إن اللي سمعته مجرد صدى من اللي حصل تحت أو مجرد تأثير، بس المشكلة إن الإحساس ما راحش، الإحساس إن في حاجة صاحية جوه الخاتم مستنياني ومراقباني!

قومت بالعافية من على الأرض، رجلي كانت تقيلة كأنها شايلة وزن مش بتاعي، وردمت الحفرة بإيدي وأنا مش عارف أنا بدفن إيه بالظبط، جثة؟ ولا حاجة كانت محبوسة وخرجت؟ كل حفنة تراب كنت برميها كان بيجيلي إحساس غريب إن تحت في حاجة بتبتسم في انتصار, وده كان أسوأ بكتير من المقاومة، لأن المقاومة معناها خوف لكن القبول؟ ده معناه شيء تاني!

وأنا بخلص سمعت صوت مرهوب لأول مرة من ساعة ما طلعت، بس الصوت كان بعيد، مش قريب زي الأول، كأنه جاي من مسافة كبيرة, ما تبصش عليه كتير..

سألته بسرعة وأنا ببص حواليا, ليه؟

سكت لحظة وبعدين قال, علشان هو بيبصلك برضه..

اتجمدت مكاني..

ببطء وببطء شديد نزلت عيني على الخاتم..

في الأول كان عادي نفس النقوش، نفس اللون الباهت، بس بعد ثواني، حصلت حركة مش واضحة بس كأن الخطوط اتحركت من مكانها جزء صغير جدا، زي كائن حي بيعدّل وضعه، رميت الخاتم على الأرض فورا كأن إيدي اتحرقت، وصرخت, مش همسكه تاني..

شدام ظهر فجأة، حضوره كان تقيل وقريب، وقال بنبرة حادة, غلط لو سبته، هيمشي لوحده!

يعني إيه يمشي لوحده؟

مرهوب رد بسرعة, يعني يلاقي حد تاني..

ساعتها فهمت الخاتم مش مجرد حاجة, ده كيان بيدوّر على حامل..

بصيت له على الأرض، وكان ساكن تاني كأنه بيمثل، كأنه عايزني أرجع آخده بإرادتي، ودي كانت الفكرة المرعبة إنه مش بيجبرك، هو بيخليك تختار.

قربت منه تاني، بس المرة دي بحذر، وقلت, عايزين إيه مني بالظبط؟ أنا نفذت اللي طلبتوه.

شدام رد بثبات, أنت نفذت أول حكم مش آخره...

مرهوب كمل, الخاتم ده كان قيد, دلوقتي بقى أداة, وإنت اللي هتستخدمه...

ضحكت ضحكة عصبية وأنا بسأل, أنا؟ ده انا كنت هموت وأنا باخده...

مرهوب قال بهدوء, علشان كدا أنت المناسب, اللي بيخاف هو أكتر واحد بيفهم الثمن..

سكت شوية، وبعدين سألت السؤال اللي كان لازم يتسأل, ولو رفضت؟

المرة دي الاتنين سكتوا

بس الخاتم هو اللي رد

صوت خافت جدًا، بس واضح جوه دماغي، مش في ودني, هتبدأ تشوف من غيري..

وفجأة الدنيا حواليا اتغيرت!

الصحراء اللي كنت فيها بقت مليانة آثار مش آثار بشر لأ, آثار حاجة كانت ماشية هنا من زمن، خطوط في الرمل بتتحرك لوحدها، أشكال بتتكون وتختفي، ووشوش وشوش في الأرض بتبصلي وتختفي قبل ما أركز فيها، وقعت على ركبتي وأنا بمسك دماغي، وبقول خلاص خلاص, شدام قال بسرعة دا بدأ يسيطر على البصيرة ويخليها مشوشة, وممكن كدا تتجنن, مرهوب قال هو كمان بنبرة كلها زهق, خده وخلاص خلينا نخلص..

إيدي كانت بترتعش وعقلي بيصرخ إني أبعد بس كل حاجة حواليا كانت بتضغط عليا، الرؤية، الأصوات، الإحساس إن في ألف كيان شايفني في نفس اللحظة ومفيش مهرب!

ببطء رفعت الخاتم من الأرض وأول ما مسكته كل حاجه سكتت, سكون مفاجئ, مريح, مخيف, بصيت له لحظة كانت كل حاجه في عقلي بتقولي البسه, وكنت خلاص مسكته في وضع الاستعداد وهحطه في صباعي بس بعدها جاتلي فكرة, فكرة قولتها بصوت مسموع عشان مرهوب وشدام والخاتم كمان يسمعوني, قولت أنا خلاص خدته, لكن استخدمه امتى؟ دا قراري أنا وبس..

أنا ماكنتش رايح المكان ده وأنا قلقان بالعكس، كان يوم شغل عادي جدا، موقع حفر جديد في طرف الصحراء، أرض واسعة مفتوحة والهواء فيها ناشف بشكل يخلي النفس يطلع تقيل، والعمال سبقوني بساعتين تقريبا، وأنا جاي وراهم أراجع طبقات التربة وأحدد إذا كانت المنطقة تستحمل المشروع ولا لأ، كل حاجة في دماغي كانت ماشية بمنطق الأرقام والقياسات، لحد ما العربية بدأت تقرب من الموقع، وساعتها بالظبط حسيت إن في حاجة اتغيرت!

مش صوت, مش إحساس واضح, بس صمت!

أنا متعود إن شدام يبقى موجود، حتى لو ساكت، ومتعود أكتر إن مرهوب مايسكتش أصلا، دايما ليه تعليق، ليه رأي، ليه نبرة فيها استعلاء كده، لكن فجأة الاتنين اختفوا مش بمعنى إنهم مش بيتكلموا لأ، بمعنى إني مش حاسس بيهم أصلا، كإن حد قفل باب كان مفتوح طول الوقت، سكت لحظة وأنا سايق، وبعدين قلت بهدوء وأنا مركز في الطريق

فيه إيه؟؟

ثواني عدت قبل ما ييجي الرد، صوت شدام كان أوطى من المعتاد، وهادي بشكل مريب وهو بيقولي ارجع!

رفعت حاجبي وأنا باقرب أكتر من الموقع، شايف الخيام والمعدات من بعيد، وقلت بنبرة فيها ضيق خفيف, ارجع ليه دا شغل..

قبل ما يرد، دخل صوت مرهوب بس المرة دي مش فيه السخرية المعتادة، كان حاد ومباشر، ومفيهوش هزار وقال المكان دا مش لينا ومينفعش ندخله..

الجملة دي لوحدها خلت رجلي تهدى على البنزين، مش خوف قد ما هو استغراب، لأن دي أول مرة الاتنين يتفقوا على حاجة بالشكل ده، وبدون جدال، وبدون تفسير، بصيت قدامي تاني، الموقع عادي جدا، عمال بيشتغلوا، لودر شغال، تراب بيتنقل، مفيش أي حاجة تقول إن

في حاجة هنا أصلا، فزفرت بضيق وقلت أنا داخل واللي مش عاجبه يقعد بره, وكان لازم اعمل كدا فعلا, مينفعش أقول للعمال مينفعش ندخل أو مينفعش نحفر طب فلتفترض العمال صدقوني, أقول إيه للمهندس العام للمشروع؟ دا شخص مينفعش أقوله سبب مش مقنع بدون حتى ما أدخل الموقع والناس تشوفني جواه وبعدين أقول ينفع نكمل ولا مينفعش..

العجيب إن شدام ومرهوب سكتوا ومحدش فيهم رد, وسكوتهم كان قالقني بصراحة..

دخلت الموقع ونزلت من العربية، وأول ما رجلي لمست الأرض حسيت بثقل غريب، زي لما تدخل مكان مفيهوش هوا كفاية، أو كإن صدرك مش عايز يتملي للآخر، بس الغريب إن مفيش أي إحساس تاني، لا حضور، لا همس، لا ظل حتى أنا لوحدي تماما، ودي كانت أول مرة من زمان أحس بالإحساس ده، إحساس إني طبيعي زيادة عن اللزوم..

واحد من العمال جه ناحيتي وهو بيمسح عرقه وقال يباشمهندس الأرض هنا ناشفة زيادة عن الطبيعي واللودر بيعلق!

هززت راسي وأنا باخد منه العينة وببص عليها، التربة شكلها عادي، بس ملمسها كان غريب شوية، زي ما تكون متماسكة زيادة عن اللازم، ركعت على الأرض وبدأت أحفر بإيدي شوية، وكل ما أنزل لتحت أحس إن في فرق مش في اللون، ولا في النوع...في الإحساس نفسه، كإن الأرض مش أرض!

عدت ساعات وأنا شغال، بحاول أركز، أحلل، أقنع نفسي إن اللي حاسه مجرد إرهاق أو تأثير الجو، لكن كل شوية كنت برجع لنفس النقطة الصمت، الغياب، الفراغ اللي حواليا، لدرجة إني في لحظة وقفت فجأة وبصيت حواليا كإني مستني حد يرد عليا، بس مفيش

بلعت ريقي، وقررت أجرب..

وقفت بعيد شوية عن العمال، وقفلّت عيني، وبدأت أستدعي مرهوب بنفس الطريقة اللي اتعودت عليها، نفس التركيز، نفس الإحساس اللي دايما بييجي قبله بثواني، بس المرة دي كان في مقاومة، كإن في حاجة بتزقني لبرا، ضغط خفيف على دماغي، زي صداع بيبدأ يتكون، ومع ذلك كملت..

ثانية, اتنين, تلاتة..

وفجأة، حسيت بيه, ظهر بس مش زي كل مرة, كان ضعيف وصوته جاي متقطع كإنه جاي من مسافة بعيدة جدا, وهو بيقولي أنت غبي!

شدّيت نفسي وأنا بحاول أثبّت وجوده وسألته فيه إيه هنا؟

سكت لحظة، وبعدين قال جملة خلت جسمي يقشعر رغم الحر, دي مش أرضنا دي حاجه أقدم مننا..

قبل ما أسأله أكتر، اختفى..

مش اختفى عادي, كإنه اتسحب غصب عنه وعني..

فتحت عيني بسرعة وأنا باخد نفس عميق، وبصيت حواليا، نفس الموقع، نفس العمال، نفس الصوت، بس الإحساس اختلف بقيت حاسس إن في حاجة تحت رجلي حاجة مش شايفها، بس موجودة، موجودة بشكل تقيل، ساكن، ومستني..

رجعت للشغل تاني، بس المرة دي بعين تانية، بدأت أركز أكتر في طبقات الأرض، أطلب حفر أعمق، ومع كل متر بننزل فيه، كان في تغيير مش واضح، بس موجود، لحد ما اللودر وقف فجأة، والسواق نزل وهو بيقول فيه فراغ تحت!

قربت بسرعة وبصيت، كانت حفرة صغيرة اتفتحت، وتحتها ظلام مش عشان العمق، لأ الظلام نفسه كان تقيل، كإنه بيبلع النور!

وقفت على الحافة وأنا حاسس إن صدري بيتقبض، وفجأة فهمت

المكان ده مش فيه حاجة, المكان دا فوق حاجه, رجعت خطوة لورا بدون تفكير وبقول للعمال بحذر نوقف شغل هنا, الأرض مش آمنة..

واحد منهم سألني, فيه مشكلة يا باشمهندس؟ بصيتله لحظة وهزيت راسي بهدوء وأنا بقوله أكتر مما تتخيل..

مشيت ناحية العربية، ولسه حاسس بالفراغ اللي جوايا، الفراغ اللي سابوه شدام ومرهوب، لكن وأنا بفتح الباب سمعت همسة خفيفة جدًا، مش منهم, صوت مش عارف أوصفه بس كان واضح إنه طالع من تحت, وقفت مكاني ومردتش, عدت لحظات صمت بعدها ركبت العربية ومشيت, بس وأنا بسيب المكان ورايا كنت عارف حاجة واحدة بس إن دي أول مرة أنا اللي أبقى جوه وهم بره, وإن المرة الجاية ممكن معرفش أطلع ولازم أسمع كلامهم..

ليلتها ماعرفتش أنام مش بالمعنى العادي, أنا نمت بس مش راحة كانت أقرب لوقوع مفاجئ, في حاجة أنا مش فاهمها كإني اتسحبت من جسمي واترميت في مكان تاني, قبل ما ألحق أرفض كنت واقف نفس الموقع نفس الأرض نفس الحفرة اللي سابتها المعدة بس مفيش عمال, مفيش صوت, مفيش هوا حتى الصحراء نفسها كانت ساكنة بشكل غلط سكون مش طبيعي, سكون يخلي ودنك توجعك من كتر ما هو تقيل!

بصيت حواليّا وأنا عارف إني بحلم بس الإحساس كان حقيقي زيادة عن اللزوم

شدام

مفيش رد

مرهوب

ولا حاجة

أنا لوحدي تاني المفروض في الحلم أتحرك بسهولة لكن رجلي كانت تقيلة كإن الأرض نفسها مش عايزة تسيبني أمشي ومع كل خطوة كنت باخدها ناحية الحفرة كان في إحساس بيزيد إحساس إن في حاجة مستنية الحركة دي بالذات

وقفت على الحافة..

بصيت لتحت..

المفروض أشوف ظلام لكن اللي شفته ماكنش ظلام كان عمق مش عمق بالمتر ولا الاتنين عمق من النوع اللي عينك ماتعرفش تقيسه كإنك بتبص على حاجة مالهاش نهاية ومع ذلك حاسس إنها قريبة قريبة بشكل يخنق!

حاولت أبعد عيني ماقدرتش في حاجة كانت بتشد نظري لتحت مش قوة ولا أمر حاجة أهدى من كده بس أقوى زي فضول غصب عنك..

وفجأة حسيت إن في حاجة بصت لي مش شفتها لا بس اتأكدت إنها شافتني..

رجعت خطوة لورا بسرعة وقلبي بيدق بعنف ودي أول مرة في حياتي أحس بالخوف من غير سبب واضح خوف خام بدون شكل بدون عدو..

وساعتها الصوت جه مش في ودني جوايا..

إنت مش منهم..

وقفت مكاني الصوت ماكنش صوت مفيش طبقة مفيش نبرة مفيش حتى لغة واضحة ومع ذلك أنا فاهمه, فاهمه بشكل مباشر كإن المعنى اتحط في دماغي من غير ما يعدي على سمعي!

بلعت ريقي بالعافية وحاولت أتكلم إنت إيه؟

ثانية عدت أو يمكن أطول وبعدين نفس الإحساس رجع المعنى اللي بيتزرع جوايا, واتقالت جوه عقلي كلمة "قديم"

اتنفست بسرعة وحسيت إن صدري بيضيق لأن الكلمة دي ماشرحتش حاجة بالعكس وسعت كل حاجة

سألت جن؟

السؤال خرج مني بسرعة كإني مستني الإجابة تكون آه وخلاص لكن اللي وصلني كان أبرد من الرفض..

"قبل الجن"

الكلمة دي خلت جسمي كله يشد قبل إيه قبل الجن قبل البشر قبل كل اللي أنا فاهمه

رجلي اتحركت لوحدها خطوة لقدام وأنا مش عارف أنا اللي باخد القرار ولا لأ, بس في حاجة جوايا كانت عايزة تقرب, تفهم, تشوف, أو يمكن حاجة تانية خالص

وفجأة كل حاجة سكتت مش الصوت بس المكان كله!

والإحساس اللي جالي بعدها كان أسوأ من أي حاجة إحساس إن الاهتمام راح كإن الحاجة اللي كانت مركزة معايا فقدت اهتمامها!

وفجأة اتزقيت لورا وصحيت..

فتحت عيني بسرعة وأنا باخد نفس عنيف لقيت نفسي على السرير العرق مغرقني وإيدي ماسكة الملاية كإني كنت واقع فعلا!

قعدت وأنا بحاول أستوعب وبصيت حواليّا الغرفة عادية كل حاجة في مكانها بس أنا مش زي ما كنت..

ثواني وسمعت شدام رجع صوته كان واضح المرة دي بس فيه توتر وسألني إنت شفته؟

هززت راسي ببطء وأنا لسه بحاول أظبط نفسي وقولت هو اللي شافني

سكت لحظة ودي كانت كفاية تأكيد

مرهوب ظهر بعدها, بس حضوره كان حذر بشكل غريب, مفيش اندفاع, مفيش ثقة, وقال لو بدأ يلاحظك أو الحلم لو اتكرر تاني ابعد عنه ومتحاولش تقرب ولا تشوف ولا تستكشف!

من المواقف اللي خوفتني وأنا نادرا لما بخاف من بعد ما مرهوب وشدام بقوا معايا كنت في يوم قاعد مع خالي في الوكالة بتاعته, انا تقريبا مليش أصحاب كتير, أتنين تلاته بالكتير وخالي منهم..

دخلت ورشة جدي واللي خالي بقى هو المسؤول عنها بعد وفاة جدي, ويمكن خالي من الناس القليلة اللي ضافوا على شغل أبوهم وطوروه وكبروه مش وقف بسببهم أو خسر..

صوت الحديد وهو بيخبط في بعضه مالي المكان، وريحة الجاز والزيوت التقيلة لازقة في الهوا، والمراوح الصغيرة بتلف بسرعة بس من غير ما تفرق مع الحر كإنها بتداعبه, المكان واسع ومليان معدات تقيلة، مواتير متفككة، وجنازير مرمية على الأرض، وكل حاجة عليها طبقة تراب وزيت..

خالي كان واقف عند الترابيزة بيظبط في قطعة حديد، أول ما شافني سلّم عليّ وقعدنا نتكلم في الشغل والدنيا، كلام عادي جدا، بس من أول دقيقة حسّيت إن في حاجة مش مريحة في المكان!

كان في شاب شغال معاه داخل خارج، شايل عدة، بيفك ويربط في عربية نقل كبيرة واقفة على الرافعة, الموضوع طبيعي جدا، بيشتغل بتركيز، بس كل شوية يرفع عينه ويبصلي، مش بصة عابرة تركيز زيادة عن اللزوم، زي ما يكون بيشبّه عليا أو مبيحبنيش, أو فيه شيء بيني وبينه مش عارف, وأول ما آخد بالي يلف وشه بسرعة ويرجع في شغله كأن مفيش حاجة, حاولت أتجاهل، يمكن بيستغربني، بس الإحساس ما راحش، بالعكس كان بيزيد بمرور الوقت..

خالي بيتكلم وأنا برد عليه، بس نص تركيزي مع الولد وفيه كلام بيقوله خالي مبسمعوش فبيضطر يكرره تاني وهو بيقولي بيسألني مش عوايدك؟

كنت براقبه من طرف عيني وهو رايح وجاي، كل حركة محسوبة، كل وقفة فيها حاجة غريبة مش باينة, شدام ساكت جوايا، ومرهوب حاسس بيه بيتحرك بهدوء حواليا زي ما يكون هو كمان مش متطمن, زي حد مستني لحظة, أو مفاجأة هتحصل في أي وقت1

الولد عدّى جنبي وهو شايل صندوق عدة، لمحته من قريب عينه من بره هادية، بس جواها حاجة واقفة، حاجة بتبص عليا من ورا, وبسبب بعض الطلاسم اللي محوّط نفسي بيهم واللي بيخلوا حواسي الخمسة بيشتغلوا بأضعاف قدراتهم سمعته بيزوم زومه خفيفة, محدش هيسمعهم إلا لو ودنه كانت في شفايف الولد دا..

وقف عند عربية النقل شوية، وبعدين فجأة ساب اللي في إيده، ولف ببطء وبصلي, المرة دي ما لفّش بجسمه بس, عينه فضلت ثابتة عليّ، كأنه أخيرا قرر يواجه!

صوت الورشة بدأ يهدى في ودني، أو يمكن أنا اللي بقيت سامع أقل، والمروحة فوقنا بقت أبطأ، وكأن الوقت نفسه بيتمط..

الولد بدأ يقرب خطوة خطوة، مش بسرعة، مش تهديد واضح بس فيه حاجة بتتزحف معاه, وقف قدامي على بعد مترين، وسكت وأنا سكت, لحظة طويلة، مفيهاش غير صوت النفس, وبعدين فجأة، وشه اتشد، وفكه قفل جامد، وطلع منه صوت خفيف زمّة مكبوتة، قصيرة، بس تقيلة، كأنه بيمنع حاجة جواه من إنها تطلع, خالي خد باله ومش عارف إذا كان سمع الزمّه ولا مسمعهاش, فسأله مالك يا سليم فيه حاجه, سليم مردش عليه وراح أخد مفتاح كبير من جمب المكتب ورجع للعربية اللي بيصلّح فيها, بقول لخالي ماله سليم فيه حاجه مش مريّحاني؟

خالي كان باصص عليه وهو كمان مش مرتاح, قالي دا ولد طيب وابن حلال وبيصرف عليه أهله, بس من فترة بدأت يعمل تصرفات غريبة, بيتعصب ويتخانق ساعات مع الصنايعية, ولما مخه يغيب محدش بيقدر عليه, كل الصنايعية بيمسكوا في دراع واحد من دراعاته ومش بيقدروا يثبتوه لحد ما يهدا لوحده, ولو حد كلمه في اللي حصل ميفتكرش أي حاجه عملها,

فقولنا إن مثلا ممكن تكون معاه مشاكل في البيت أو ضغوط سببتله مشاكل نفسية, فقولت للعمال محدش له دعوة بيه وسيبوه في حاله, ولد غلبان وبيشتغل بكل جهده, وطالما اللي بيحصل منه مبيكونش بإيده فانا عمري ما هقطع رزقه, وفعلا العمال اختصروه خالص والحالة اللي بتجيله تقريبا اختفت, ممكن بس تجيله مرة في الشهر أو مرتين بالكتير, خالي خلص كلامه وقام من المكتب وراح ناحية الباب وهو بيسأل عن حد الميكانيكية اللي جمبه وراجعلي تاني..

كلام خالي مطمنيش بالعكس قلقني أكتر, الشاب دا فيه حاجه مش طبيعية وأقرب تفسير للي بيعمله إنه ممسوس, مجرد ما جات فكرة ممسوس في بالي فجأة شدام قالي حاسب وحسيت بيه بيشدني يرميني من على الكرسي طرت في الهوا وفي اللحظة اللي طرت فيها راح وقع على المكتب موتور عربية نقل تقيل, حاجه كدا خمس رجالة ما يقدروش يشيلوها بسهولة, سليم كان في لحظة واحدة شاله ورماني بيه, وقع على المكتب الحديد طبقّه وخلاه زي علبة الشاي الورق..

الحركة كانت مرعبة في بساطتها, مفيش مجهود ظاهر كإن الوزن اتلغى!

خالي اتجمد في مكانه وتقريبا ركبه سابت وهو شايف ابن اخته لولا ستر ربنا كان هيموت قدام عينه وفي ورشة جده, مرهوب همسلي بكل برود الواد دا مش لوحده, فيه حد معاه!

كنت عايز أصرخ فيه واقوله ياراجل عرفتها لوحدك؟ بس ساعتها اتأكدت إن اللي كان مستخبي طول الوقت بدأ يبان, وفي لحظة كانوا العمال كلهم هجموا على سليم بيحاولوا يثبتوه, وخالي بدأ عقله يرجعله وراح يشتم الواد بأهله وبيقوله ملكش عيش هنا, أنا كان جسمي بيتنفض من الخوف بس في أقل من دقيقة كنت قدرت أسيطر عليه, وبدأت أبص على سليم من تاني, جسمه مشدود بطريقة غريبة, ووشه ثابت بس عنيه فيها شرخ! كإن حد تاني بيبص من وراها, نظراته كانت مثبته عليا ومش مهتم بالأربع عمال اللي ماسكين في إيديه ورجله وواحد فيهم مكتفه من الخلف, سليم زمجر بصوت الكل سمعه ورجله اتحركت ناحيتي والعمال بيحاولوا يثبتوه لكن بعد الثانية والتانية كان بيظهر فشلهم وهو بيتحرك ويرميهم جمبه وفجأة الأربعة طاروا من عليه كإن فيه قوة مخفية رمتهم وسليم جري ناحيتي!

خالي واقف بيصرخ في العمال يمسكوا سليم كويس ويحاولوا يسيطروا عليه والأربعة اتلموا على سليم دفعة واحدة، واحد من قدام ماسك دراعه، والتاني من ورا حابسه، والتالت بيحاول يثبت رجليه، والرابع واقف قدامه, بس المشهد ما كانش طبيعي سليم واقف كأنه مسمار مغروز في الأرض، جسمه مش بيتحرك غير بعصبية متقطعة، وفكه مقفول لدرجة إن صوته لما طلع كان طالع من بين سنانه، زمّة طويلة خدت من صدري أنا قبل ما توصل لوداني, وفجأة سليم فلت نفسه منهم والأربعة طاروا حواليه كإن فيه قوى غريبة رمتهم بعيد عنه وسليم انطلق يجري ناحيتي, ولما حاولوا يرجعوا يمسكوه تاني كنت وقتها أخدت قراري إني لازم أتدخل واللي يحصل يحصل, صرخت فيهم وقولتلهم سيبوه!

صوتي خرج حاد أكتر من اللازم كإن فيه حاجه اتغيرت فيا، الكل بصلي مش فاهمين " حاجه, كملت وقولتلهم لو زودتم عليه قوته هتزيد أكتر وأكتر, خالي اتردد لحظة، وبعدين زعق فيهم يبعدوا بعد ما بصيتله بصه تطمنه ومعناها يسيب الموضوع كله عليا..

أول ما سابوه، سليم ما وقعش بالعكس، وقف مستقيم أكتر، كأنه اتفك من حمل، ورفع عينه علي مباشرة, النظرة دي ما كانتش نظرة بني آدم تعبان كانت نظرة حد شايفني كويس قوي وبيكرهني أو بيكره اللي بعمله, أو بيكره إن عندي خدام..

الورشة فجأة ضوضاءها قلت, صوت العِدّة اختفى، حتى المروحة بقت بعيدة، وأنا وسليم واقفين قدام بعض، مترين بالظبط، المسافة اللي بينّا بقت تقيلة كأنها حبل مشدود..

مرهوب اتحرك جوايا بعنف، صوته طلع خشن وهو بيقول سيبهولي أخلّصه من اللي هو فيه..

شدام رد عليه بهدوء بارد وبنبرة راجل حكيم وقال لو خلّصته الولد هيروح معاه..

خدت نفس ببطء وقربت نص خطوة، إيدي مرفوعة قدامي بس من غير ما ألمسه وبالحركة دي سليم ثبت مكانه وفقد القدرة على نفسه وهيجانه اللي كان من لحظات، ثبّت عيني في عينه, وسألته بهدوء, اللي معاك اسمه إيه؟

سليم سكت، بس وشه شدّ أكتر، عرقه نزل على صدغه، وبعدين صوته خرج بس مكانش صوته وقال ملكش دعوة, الصوت تقيل، أعمق، فيه صدى غريب كأنه خارج من حتة أوسع من جسمه!

ابتسمت ابتسامة صغيرة من غير راحة، وقولتله بالعكس ليا..

سليم لف راسه سنة كأنه بيهرب من صوتي، وبعدين رجع يبصلي تاني، والزمّة رجعتأطول، أوجع، كأنها شدّ من جوه. العمال ورايا رجعوا خطوة، وخالي قعد على الكرسي لا إراديا, وهو مش فاهم اللي بيحصل بس حاسس إن اللي بيحصل مش طبيعي!

بصيت في أركان الورشة وإيدي مازالت ممدودة قدام سليم عشان أمنع هجومه, عيني كانت شبه الأشعة السينية وهو بتحلل كل حاجه وتشوف اللي محدش بيشوفه لحد ما جات على موتور قديم مرمي تحت حامل حديد مرصوصه عليه العدة والأدوات وخرق قديمة وحاجات كتير, الموتور دا كان فيه جزء من طاقة مظلمة مازالت موجودة فيه, بصيت عليه وبصيت للموتور تاني عشان يبص عليه زيي وقولتله إنت دخلت لسليم من هنا صح؟

ابتسم ابتسامة خفيفة على وش سليم, كان واضح إنها ابتسامة شيطانة وقال أنا مدخلتش هو اللي فتحلي..

سألته وأنا ببص بقوة في عنيه وبقرّب خطوة, فتح إزاي؟

المسافة بينا بقت أقل, والهوا بقى بارد, سليم اتشنج وهز كتفه بعنف وصوته اتقسم نصين وهو بيقول موتور قديم جاي من عربية من العربيات المرمية في الصحرا, جي مع بضاعة روبابكيا وخالك اشتراهم..

شدام همس جوايا, فيه كيان كان مربوط بالموتور واتفك ودخل في سليم, مرهوب رد عليه بسرعة وهو بيزأر وبيوجهلي الكلام وقال يبقى نرجعه مكانه ونقفل, شدام قاله مش قبل ما نطلعه من الولد..

رفعت إيدي أعلى شوية، وثبّت رجلي في الأرض، وحسّيت بمرهوب بيقرب للظهور والهجوم وأنا مش سايبه، بس مخليه جاهز..

قولتله بصلي كويس, الجسم ده مش بتاعك, إنت ضيف..

سليم ضحك ضحكة قصيرة وقال حتى لو ضيف, الجسم دا عجبني..

الهواء حوالينا بدأ يتشد، كأن المكان بيضيق، وسليم اندفع فجأة لقدّام بعد ما اتخلص من سطوتي عليه، خطوة واحدة سريعة، إيده اتمدت ناحيتي، بس قبل ما يوصل مرهوب شد من جوه، وأنا زقيت الإحساس ده لقدام، زي موجة ضغط خبطته في صدره, سليم اتراجع خطوة، واتكعبل ووقفع بعدها وقف تاني ونظرة الكره بقت أكبر في عنيه..

ده بيلعب معانا! مرهوب قالها بعصبية, شدام رد وقال هو بيقيسك وبيحاول يعرف قدرتك وآخرك إيه..

بصيت لخالي وشاورت على الموتور القديم وقولتله خلي العمال يرفعوه ويجيبوه جمب رجلي هنا, الفكرة دي همسلي بيها شدام..

العمال من غير ما خالي يتكلم راحوا شالوا الموتور وجابوه جمبي, حته حديدة مصدية تقيلة, نظرات سليم كانت بتبص عليها بخوف وأنا عارف إن الخوف مكانش طالع من سليم, كان طالع من الكيان اللي جواه, الموتور بالنسبالة كان زي قطب المغناطيس السالب وسليم بيحاول يبعد عنه خلال العمال ما جابوه جمبي..

الكيان اللي جواه تقريبا قرا الفكرة اللي نويت أعملها وجسم سليم كان بيلف ويستعد للهرب, بسرعة قولت لمرهوب امسكه وثبته مكانه بدون ما تإذيه, وبصيت لخالي واللي كان قاعد بيراقب بترقب أشبه للخوف وقولتله قول للعمال يقفلوا الورشة ولو عايز تخرج معاهم اخرج ولو عايز تقعد معايا اقعد, قولت كدا لإني لمحت ناس كتير وقفت بره, عمال وصنايعية وناس رايحة تشتري طلبات, كله واقف يتفرج وأنا مش عايز سري يتكشف, ولو اتكشف لحد فخالي هو أنسب واحد..

خالي اتردد لكنه واقف فيا وفي عقلي وتفكيري وقالي للعمال اطلعوا واقفلوا علينا من بره, وقام وقف جمبي خوفا عليا من أي حاجه أو هجوم مفاجئ يعمله سليم.

شدام همسلي وقال أنا هطرد الكيان من جسم سليم بس لازم يكون فيه وعاء يتحبس فيه لإنه خطر يتساب حر وممكن يروح لأي حد تاني, مرهوب رد عليه وقال أساعدك إزاي**!**

شدام قاله نيمه على الأرض على ضهره واسحبهولي ناحية الموتور ولما يقرب منه خليه يحضن الموتور بوشه وأنا هطلع الكيان من بقه..

مجرد ما شدام خلص الكلمة فجأة سليم صرخ هو واللي جواه بعد ما كيان قوي سحبهم هما الاتنين ورماهم في الأرض وراح يسحب فيهم لحد ما خلّاه حضن الموتور ولصق فيه بإيديه ورجليه كإنه حاضن واحده ست..

خالي لما شاف المشهد دا رجع لورا خطوة ونسي ابن اخته اللي وقف جمبه عشان يحميه, وبصراحة كان معذور, اللي بيحصل دا مش أي عقل يستوعبه, لازم واحد يكون شاف كتير وعارف أكتر..

لحظات وبدأت المادة السودة تنسحب من سليم عن طريق بقه وترجع للموتور من تاني, دقيقة واتنين وخمسة, لحد ما المادة اتحولت من جسم سليم للموتور بالكامل, وبمجرد ما خرجت سليم أغمى عليه وإيده ورجله وقعوا من فوق الموتور..

قعدت على ركبتي وحطيت إيدي فوق الموتور بدون ما ألمسه وحوطته بهالة حماية تمنع الكيان من الخروج مرة تاني لفترة من الوقت, قولت لخالي نادي على العمال يفتحوا الباب ويشيلوا الموتور دا يحطوه في عربيتي..

خالي بدأ يرجع لطبيعته ويستوعب اللي حصل قدامه وكإن كلامه خلاه يفوق من سرحانه, ونادى على واحد من العمال وقاله افتح, ولما العمال فتحوا جريوا ناحية سليم الواقع على الأرض لا إراديا, خالي صرخ فيهم قالهم سيبوا سليم وخدوا الموتور وحطوه في عربية الباشمهندس, الأربعة اللي نفذوا الكلام بدون ما يفهموا السبب مقدروش يرفعوا الموتور وبقوا يدحرجوا لحد ما وصلوا عربيتي وأنا ماشي قدامهم, ولما حاولوا يرفعوه احتاجوا اتنين تاني من عمال الورشة المجاورة والستة رفعوه بالعافية وتقريبا حطوا في الرفع كل طاقتهم..

ركبت العربية وأنا بشاور لخالي اللي بيراقبنا وأنا حاطط صوابعي على ودني يعني هتصل بيك وأكلمك بعدين, وركبت العربية ومشيت..

فضلت ماشي حوالي ساعة بالعربية لحد ما وصلت منطقة صحراوية دخلت فيها لحد ما اطمنت إن المكان دا محدش هيوصله وطلعت الكوريك من العربية اللي مش بيفارقها أبدا وحفرت حفرة كبيرة ودفنت فيها الموتور بمساعدة شدام ومرهوب..

بقيت بحس بالجن قبل ما يظهرلي, تقريبا بقت عندي حاسة استشعار بمجرد ما محيط الطاقة اللي أنا قاعد فيه بيتغيّر, ودا اللي حصل معايا ومكنتش متخيل إن ممكن جن عنده جرأة يظهرلي وهو عارف إن شدام ومرهوب معايا!

ليلتها كنت قاعد في أوضتي وعندي ملل بسبب الأجازة, كنت متعود خلال الأجازة أحيانا اخرج أو اشوف حد من صحابي, وأحيانا تاني بقضيها كلها في البيت, منا شغلي أساسا دايما برّه فمش محتاج اقول اخرج عشان اغيّر جو..

،كنت ممد على السرير وسرحان كدا من غير سبب واضح لحد ما فجأة حسيت إن في حاجة اتغيرت، مش صوت ولا حركة لكن إحساس مباشر إن الهوا بقى أتقل وكأن في وجود دخل من غير ما الباب يتفتح ولا ياخد الإذن، عيني راحت تلقائيا ناحية الركن الضلمة وقلبي دق دقة تقيلة!

مينفعش أخاف..

الإنسان العاقل آخر حاجه يفكّر فيها وهو في موقف زي دا إنه يخاف, ويخلي الجن ياخد عنه الفكرة دي..

سألت بهدوء وأنا مركز بعيني على المكان وخليت نبرة صوتي ثابتة لأقصى مدى وقولت شدام؟

جالي صوته في دماغي فورا بنبرة حذرة وقال لا مش شدام, وفي نفس اللحظة حسيت بمرهوب حضر فجأة ووقف جمب السرير ناحية وهو ماسك الخنجر بتاعه, أنا تقريبا نسيت إن دا سلاحه بسبب إنه مبيطلعوش كتير, وجوده كان حاد ومتوتر كأنه مستعد يهاجم في أي لحظة وقالي خليك ثابت، في حد دخل!

مجرد ما قال جملته لمحت شدام وهو واقف على يميني وجسمه منحني لقدام وواخد وضعية الاستعداد للهجوم, معرفش حضر إمتي وهل هو ظهر الأول ولا مرهوب؟ دخول الغريب دا خلاني مش مركز في اللي بيحصل حواليا!

عيني لسه متابعة الضل في الركن وهو ببدأ يتجمع بشكل غريب، مش بيتحرك بشكل طبيعي لكن كأنه بيتكثف ويلم نفسه لحد ما بدأ ياخد هيئة شخص واقف قدامي، ملامحه مش واضحة لكن وجوده كان واضح جدا، قومت من مكاني ببطء وأنا بحاول أسيطر على أي خوف جوايا وقلتله إنت مين؟ ومين سمحلك تدخل أوضتي؟ مجرد ما رجلي لمست الأرض كانوا شدام ومرهوب واقفين بيني وبينه تحسبا لأي فعل مفاجئ ممكن يعمله..

سكت لحظة وبعدها اتكلم بصوت غريب، لا هو مخيف ولا مريح، صوت بعيد كأنه جاي من مسافة مش مفهومة وقالي أنا جاي لك، مرهوب تدخل فورا بصوت حاد وقال أنا مش مرتاح له! أأمرني أخلصك منه, ظهرت ابتسامة ساخرة على وش الكيان دا بعد جملة مرهوب, ابتسامة معناها أنك متقدرش تلمسني أساسا..

مردتش على مرهوب وبصيت للكيان وقلتله جاي ليه؟

الشكل قدامي ثبت أكتر والضل حواليه بقى أغمق وقال بهدوء عايز أكون معاك..

الجملة كانت بسيطة لكن وقعها كان تقيل ومش مريح, متتصدقش ومتتكذبش، حسيت إن في حاجة مش متظبطة، حاولت أقرأ طاقته لكن ماقدرتش أحددها، لا شر واضح ولا خير واضح، شدام همس جوايا, دا مش طبيعي، أنا مش شايف أصله!

ومرهوب قال بنبرة أخطر ولا أنا، ودي لوحدها مشكلة!

بصيت له تاني وسألته معايا؟ في خدمتي؟

اتحرك خطوة أو يمكن الضل هو اللي قرب مش هو وقال لأنك بتمشي بين العالمين، ولأنهم بعتوني..

اتشد قلبي شوية وسألته مين؟

سكت لحظة أطول من اللازم وقال قبيلة، مش وقتها تعرف اسمها,,

مرهوب قال بعصبية واضحة ارفضه حالا..

لكني ما استعجلتش، كان في إحساس جوايا إن الموضوع أكبر من مجرد كيان جاي يطلب خدمة، فسألته ولو رفضت؟

الضل حواليه اهتز كأنه بيبتسم وقال أنا مش جاي أفرض نفسي، بس هتحتاجني..

ساد الصمت تاني لكن كان تقيل بشكل مختلف، بصيت حواليا الأوضة زي ما هي لكن الإحساس اتغير، نفس المكان بس مش آمن زي قبل، خدت نفس ببطء وقلت اسمك إيه؟

رد بعد لحظة هدوء "هتعرفه لما تقبل"، شدام قال بنبرة حاسمة ده بيلعب، ومرهوب زود وبيعرف حدودنا، وده أخطر..

بس أنا بصراحة عجبني, عجبني أسلوبه وهدوءه, وثباته وثقته في نفسه, تقريبا شوفت فيه كل الصفات اللي اتمنيت تكون عندي بقوتها الأصلية ميه في الميه بدون ما تنقص درجة..

فضلت واقف مكاني مركز معاه وحاسس إن اللحظة دي بداية حاجة أكبر من مجرد لقاء عابر، حاجة ممكن تغير كل اللي جاي، ولسه مش عارف أنا مستعد لها ولا لأ لكنه فجأة اتحرك أكتر والضل بدأ يتمدد في الأرض لحد ما بقى أقرب لي من أي وقت فات وقال بصوت أوضح أنا مش أول واحد هيجيلك، وأنا مش آخر واحد، بس أنا الاختبار..

حسيت بمرهوب بيشد طاقته كأنه مستني إشارة مني، وشدام بيحاول يقرأه بأي طريقة لكنه بيفشل، وده كان مقلق أكتر من أي حاجة، سألته وأنا محافظ على ثباتي اختبار لإيه؟

رد بهدوء غامض وقال اختبار لحدودك، ولولائك، وللأحكام اللي هتقدر تنفذها لما الحقيقة تبان..

سكت لحظة وبعدين كمل القبيلة اللي بعتاني مش بتختار عشوائي، وإنت مش مجرد منفذ زي ما فاكر، حسيت إن الكلام بدأ يدخل في منطقة أخطر، فقلتله بنبرة جدية لو عندك حاجة قولها صريحة، الضل حوالينه بدأ يهدى شوية وقال هقولك حاجة واحدة بس دلوقتي، في وقت قريب هتجيلك أوامر وأول مرة هتتردد تنفذها!

حسيت بشدام ومرهوب في نفس اللحظة بيتوتروا، ومرهوب قال بحدة كفاية كلام، لكن الكيان كمل كأنه سامعه ولما تتردد ساعتها هتعرف ليه أنا هنا والمفروض كنت قبلتني..

ساد الصمت تاني، وببطء شديد بدأ شكله يتفكك ويرجع ضل زي الأول، قبل ما يختفي تماما قال لما تقرر ناديني، وفجأة اختفى كأنه ما كانش موجود أصلا، الأوضة رجعت زي ما كانت لكن الإحساس ما رجعش، فضلت واقف مكاني شوية وأنا بفكر في كل كلمة قالها، وشدام كسر الصمت وقال ده خطر وممكن يكون بيكدب أو حد بيرميه في طريقك عشان يدمرك، ومرهوب أضاف بنبرة غامقة وأنا كمان مش مرتاحله لإنه ملوش ماضي ودا شيء غريب..

أنا بصيت للركن اللي كان واقف فيه وقلت بهدوء واضح إن اللعب ابتدى بجد..

فضلت باصص للركن اللي اختفى فيه الكيان وأنا حاسس إن الصمت بقى تقيل بشكل غريب، كأن المكان نفسه مستني رد فعل مني، قعدت على السرير ببطء وحطيت إيدي على وشي أحاول أرتب أفكاري لكن كل حاجة كانت داخلة في بعض، شدام اتكلم الأول بصوت هادي بس فيه قلق واضح وقال "إحنا لازم نعتبره تهديد لحد ما يثبت العكس"

مرهوب رد عليه بسرعة بنبرة حادة "مفيش حاجة اسمها يثبت العكس، اللي يدخل من غير إذن ويتكلم بالطريقة دي يبقى وراه حاجة"

سكت شوية وأنا بفكر في كلامهم وبعدين قلت "هو قال إنه اختبار، وساب القرار ليا، لو كان عايز يأذيني كان عملها"

مرهوب ضحك ضحكة خفيفة بس مليانة سخرية وقال "أو يمكن بيحب يلعب بعقلك الأول"

شدام تدخل بنبرة أهدى "في نقطة مهمة، إحنا ما قدرناش نحدد طاقته ولا أصله، ودي حاجة نادرة، حتى الأقوى منه بيبقى ليهم أثر"

حسيت بعدم ارتياح من الكلام ده، لأن ده معناه إن اللي قدامي مش عادي، قومت من مكاني وبدأت أتمشى في الأوضة وأنا بفكر بصوت مسموع واقول "قبيلة؟ بعتاه ليا أنا! واختبار كمان؟؟"

وقفت فجأة وبصيت لقدام كأني شايفه تاني وقلت "اختبار لإيه بالظبط؟"

مرهوب قال "ممكن اختبار عشان يشوفوا يقدروا يتحكموا فيك ولا لأ"

شدام رد عليه "أو يشوفوا إذا كان ينفع تكون جزء منهم ولالا"

الجملة دي وقفتني لحظة، جزء منهم؟ أنا أصلًا مش فاهم هم مين، رجعت قعدت وأنا حاسس إن الموضوع أكبر من مجرد مهمة جاية، ده فيه حاجة بتتخطط، حاجة أنا في نصها من غير ما أكون فاهم الصورة كاملة، قلت لنفسي بهدوء وبصوت مسموع عشان يسمعوني ويشاركوني أفكاري "لو فعلا في قبيلة بتراقبني، يبقى اللي جاي مش بسيط"

مرهوب قال "يبقى نستعد للأسوأ"

شدام كمل "ونجمع معلومات قبل ما ناخد أي قرار"

هزيت راسي موافق وسكتنا شوية، لحد ما فجأة حسيت بنفس الإحساس اللي حصل من شوية، بس أخف، زي موجة عدت بسرعة، رفعت عيني فورا وقلبي دق، لكن المرة دي ما فيش حاجة ظهرت، مرهوب قال بسرعة "حسيت؟

قلته "آه بس اختفى بسرعة"

شدام قال "ده مش اختفاء، ده مراقبة"

الجملة دي خلت الجو يتشد أكتر، كأننا مش لوحدنا حتى بعد ما هو مشي، خدت نفس عميق وحاولت أتماسك وقلت "تمام لو هو اختبار، يبقى أنا كمان هختبره"

مرهوب سألني "إزاي؟"

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت "هو قال لما أقرر أناديه صح؟ وأنا هناديه، بس مش دلوقتي"

شدام فهم قصدي بسرعة وقال "هتجهز نفسك الأول" هزيت راسي وقلت "بالظبط، لو هو جاي من قبيلة وعنده القوة دي، يبقى المواجهة معاه مش هتكون سهلة، وأنا مش هدخلها وأنا مش

فاهم أنا داخل على إيه"، مرهوب سكت شوية وبعدين قال بنبرة أهدى من الأول "قرار مش وحش بس خليك فاكر، النوع ده ما بيجيش غير ووراه هدف كبير"

وقفت تاني وبصيت حواليا في الأوضة، كل حاجة رجعت طبيعية، بس الإحساس الداخلي اتغير، بقيت حاسس إن في مرحلة جديدة بدأت، مرحلة فيها لعب أكبر وقوانين مش واضحة، همست لنفسي وأنا مركز "قبيلة؟اختبار! وأوامر جاية هتخليني أتردد؟"

افتكرت كلامه واتشد قلبي شوية، لأن دي أول مرة حد يلمح إني ممكن أرفض حكم أو أتردد فيه، وده معناه إن اللي جاي ممكن يكسر كل اللي أنا ماشي عليه، شدام قال بهدوء "إنت لازم تحدد من دلوقتي، إيه اللي ممكن ترفضه وإيه اللي لأ"

مرهوب كمل على كلامه وهو موافق وقال "لأن التردد في وقتها ممكن يكلفك كتير"

سكت شوية وأنا بفكر في كلامهم وبعدين قلت "واضح إن اللعبة أكبر من إني أكون مجرد منفذ يمكن ده اللي هو عايزني أفهمه"

الجو فضل هادي بس مش مريح، وكنت عارف إن الهدوء ده مش راحة ده قبل العاصفة، قررت أنام وفجأة أول ما قعدت على السرير حصل وميض زي البرق في الركن اللي ظهر فيه الكيان أول مرة, بصيت بسرعة لقيته ظهر تاني وهو قاعد على ركبة ونص وماسك في الأرض جني باصص عليه برعب وبيبص عليا عشان أنقذه منه, وقبل ما اتكلم كان رفع كف إيده ونزل بيها على رقبة الجني فصلها عن جسمه, مفيش نصل, لا سكين ولا ساطور, قطع راسه بكف إيده عادي جدا, الجني مجرد ما اتقتل الدم بتاعه نزل على الأرض شربته وبعدها شربت الجني دا كإنه مياه وظهرت بقعة من الطاقة مكانه وبعد ثواني كانت اختفت!

الكيان وقف وقال اتكلمتوا عليا كتير وكلامكوا كلّه غلط, مفيش حد فيكم قرّب حتى من حقيقتي, معذورين لإن حقيقتي قليل جدا جدا يعرفوها, أنا "جرموق" التابع الوحيد للمنفذ اللي كان قبلك لأنه كان مكتفي بيا..

وقفت بسرعة من على السرير أول ما قال المنفذ اللي كان قبلك, ليالي كتير فكرت فيها, كان اسمه إيه؟

عنده كام سنة؟

من نفس بلدي ولا بلد تاني؟

حصل إيه معاه وهل مات موته طبيعية ولا حد انتقم منه؟

لولا خطورة الموقف كنت هصرف شدام ومرهوب واقعد معاه الليل كله لوحدي, أسأله ويحكيلي, لكن مينفعش أأمن لأي حد من أول مرة, إنس كان أو جن..

مشيت خطوة قدام وخلاص هتكلم وفجأة شدام وقف بيني وبينه وهو بيسأله "مهمتك انتهت بموت المنفذ اللي كنت تابع ليه, عايز تنضم لمنفذ جديد ليه؟"

جرموق وقف لحظة كأن السؤال فتح باب قديم جواه، وبص ناحية الأرض قبل ما يرفع عينه "مهمتي "تاني, وشه كان هادي لكن جواه حاجة متكسّرة، وقال بصوت ثابت وفيه ثقل غريب معاه فعلا انتهت لكن أنا ما اتولدتش علشان أشتغل مع شخص بعينه"

سكت ثانية كأنه بيراجع عمر كامل مش مجرد إجابة، وبعدين كمل
"المنفذ القديم ما كانش مجرد شخص كان نظام، حلقة، طريقة بتخلي التوازن يمشي بين عالمكم وعالمنا، ولما مات أنا ما ارتحتش، أنا اتفككت"

رفع عينه ناحية شدام مباشرة لأول مرة، وقال

"واللي حصل بعد موته مش حرية ده فراغ، والفراغ في قبيلتي أخطر من العبودية، لأنه بيخلي كل واحد فينا يتحرك من غير معنى، من غير اتجاه، ومن غير أمر يثبت وجوده"

بعدين اتنهد كإنه بيحاول يطلع حاجة تقيلة من صدره، وكمل بصوت أهدى لكن أعمق

"أنا شوفت اللي حصل للي فضلوا من قبيلتي على مدار السنين بعضهم اتجنن، بعضهم اتآكل من نفسه، وبعضهم اتحول لشيء مش معروف حتى لجنسه، لإنهم مبقوش تابعين لحد من الإنس"

سكت لحظة قصيرة، وبعدين قال الجملة اللي غيرت نبرة المشهد كله

"أنا مش جاي عشان أساعد المنفذ الجديد, أنا جاي عشاني أنا قبل أي شيء"

مجرد ما قال كلمته الأخيرة رديت عليه بسرعة وقولت "وأنا قبلتك"

انتهت

2026/4/27

رايات أخرى للكاتب:

-داخل مقبرة الفرعون

-قصتي معهم

-القصاص

-حكايات يجهلها العلم

-فتيات أحبهّن الجن